سلسلة الكتب النادرة ٤

الغريب النادر من كتب التراث الإسلامي

محمد خير رمضان يوسف



دار ابن حزم

سلسلة الكتب النادرة (٤)

الغريب النادر من كتب التراث الإسلامي

محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

**الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها**

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

الغريب النادر

من

كتب التراث الإسلامي

مقدّمة

في كل كتاب من هذه السلسلة لنا لقاء مع الإمام السيوطي.. الكاتب البارع، والمصنِّف المبدع، أغزر المؤلفين إنتاجاً في التاريخ الإسلامي!

ولقاؤنا معه في هذه المرة سيكون بصحبة رسالة صغيرة له بعنوان «**إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء**». وهي على الرغم من صغرها، إلا أنها «دسمة»، أو أنها «ثقيلة» مثل «دم الثقلاء»! ويكفي القارىءَ منها القليلُ مما انتقيته.. حتى لا يشعر بثقل كتابي على نفسه!

ومما قال بعضهم في الثقيل:

أنــت يــا هــذا ثــقــيــلٌ ... وثــقــيــلٌ وثــقــيــلُ
أنــت فــي الــمــنــظــرِ إنــســا ... نٌ وفــي الــمــيــزانِ فــيــلُ!

وقال آخر:

وثــقــيــلٍ قــال صــفــنــي ... قــلــتُ: مــا فــيــكَ أَصِــفْ؟
كــلُّ مــا فــيــك ثــقــيــلٌ ... خِــفَّ عــنــي وانــصــرفْ!

● وهل كنتَ تتوقَّع أن يؤلف أحد العلماء كتاباً فقهياً كبيراً يختصُّ ببيان «**أحكام الخواتم وما يتعلق بها**»؟!

بلى! هذا ما فعله الإمام العالم ابن رجب الحنبلي، وكتب في هذا الموضوع النادر الغريب! فبيَّن حكم لبس الخاتم على التفصيل، وأحكام نقشه، وحكم التختم في اليمين واليسار، وتحريكه عند

الوضوء، وحكم نزعه من يد الميت، وزكاته، وبيعه، وشرائه، ولُقَطته، وهبته. . . إلخ.

وقد اخترنا من هذا الكتاب النفيس بعض الأحكام والأخبار السهلة النادرة.

ولابن رجب مؤلفات إسلامية أخرى نادرة، مثل:

- الفرق بين النصيحة والتعيير.

- القول الصواب في تزويج أمهات أولاد الغياب.

- كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة.

وقد أفرد هذا المؤلف الجليل عدة كتب مستقلة لشرح أحاديث معينة هي في غاية الأهمية. .

بل إن لمحقق كتاب «أحكام الخواتم» - عبد الله محمد الطريقي - كتب نادرة في موضوعاتها، مثل:

- العمل بالخط والكتابة في الفقه الإسلامي.

- الإشارة وما يتعلق بها من أحكام في الفقه الإسلامي.

كما حقق كتباً نادرة في موضوعاتها - أيضاً - مثل:

- ذم الوسواس، لابن قدامة.

- نوادر الفقهاء، للجوهري.

● ويأتي قاضي هراة، المعروف بابن غياث الدين، فيعزم على اختيار تسعة موضوعات أدبية تربوية، ويجمع لها ما حسن وطاب من الشواهد والأدلة والأمثال والنوادر المفيدة، ويختمها بفصل فيه «حكايات لطيفة لائقة، ومطالبات طريفة رائقة». . اخترنا من هذا الأخير بعض ما يتحف القارىء. .

وإذا بدا أن هذا الكتاب عادي، وقد أُلِّف مثلُه، فإن الكاتب يذكر أن القصد من تأليفه هو تقديمه للملوك والأمراء وذوي الجاه والسلطان.. قال: «إن أرباب الجاه والاحتشام لما كان لهم مزيدُ ميلٍ لهذا النوع من الكلام، أردتُ أن أدير عليهم بهذا التقريب الفائح كؤوس الحِكَم والنصائح.. وطفقتُ أسقيهم بهذا التدوين من شراب الأدب الذي مزاجه من تسنيم».

ثم يذكر بعض منغِّصاته المعيشية أثناء تأليف الكتاب ويقول: «مع كون بيتي عن امتلاء الكتب خالياً، وحالي برديءِ الثياب حالياً. بل كانت أيام العمر من كدورات الأيام لياليا، ونزلتْ في ساحة القلب جنودُ الآلام متعقباً متواليا... ولم يكن لدي من قلة البضاعة كتبٌ كثيرة من هذا الباب، بل كنتُ أتردد لكتاب واحد إلى ألف باب. أغيبُ لأجل المنام في الليل إذا عسعس، وأتقلَّب لعدم المقام في الصبح إذا تنفَّس. وفي هذه الظلمات قد غاب هلالُ الصِّبا في مغارب الآفلين، وسار قرنُ العمر قريناً لقرن الثلاثين. اقتربت الساعة التي يشتعل الرأس فيها من الشيب، ويُخرج المشيبُ يده البيضاء من الجيب. ومع هذا إنما ركبتُ مطايا الأفكار الضامرة التي غُدوُّها شهر ورَواحها شهر، ووجهتُ ركاب الهمَّةِ إلى اكتساب هذا الكتاب النادر في الدهر..».

ويسمى المؤلف مجموعه هذا **«أساس الاقتباس»** مبيناً أنه اقتبس الأساسيات المهمة من الموضوعات التربوية.

ولم يكن ما اخترناه هنا مقتبساً منها، بل هو أحد فصول الكتاب الملائم لهذه السلسلة.

وماذا تتوقع أن يكون جواب رجل يجوب البحار طولاً وعرضاً، عندما يسأله أحدهم: ما أعجب ما رأيت من عجائب البحر؟

إنه قال: سلامتي منه!

وماذا تنتظر أن يكون جواب أعرابي عندما يسألونه: ما تسمّون المرق؟ قال: السخين. قالوا: فإذا بَرَد؟ قال: لا نَدَعُه يبرد!

● ويرتكب ابن الأبّار - وهو أحد أعيان المؤرخين والأدباء - ذنباً، مما أثار عليه غضب السلطان الحفصي أبي زكريا وغيَّر قلبه عليه، فألَّف كتاباً عنوانه «**إعتاب الكُتَّاب**»، مريداً بذلك أن يضرب له الأمثال على حِلْم الملوك وعفوهم عن أخطاء كُتَّابهم. فراح يبحث عن هذه الأخبار في تراجم الكُتَّاب، في الشرق والغرب الإسلاميَيْن، ويتقصّاها ويجمعها، ويبرز في كل خبر إقالة الذنب، ليحثَّ بذلك السلطان على إقالة ذنبه..

والإعتاب مصدر من «أعتب»، وتقول: أعتبه: إذا أعطاه العُتْبىٰ، أي الرضا، وأزال لومه وأرضاه. فإعتاب الكُتَّاب إذاً إعطاؤهم العُتْبى بالرضا عنهم، والعفو عن زلاتهم، وإعادة الحظوة والحقوق إليهم.

وإذا اطَّلع القارىء على بعض مقتطفات الكتاب هنا، فإنه سيعرف من خلال ترجمة المؤلف أنه ارتكب خطأ آخر مع ابن السلطان - بعد أن صار هو السلطان - وزادت وشاية الحُسَّاد به، مما أدى إلى قتله، وإحراق مؤلفاته سنة ٦٥٨ هـ !

● والكلمات المترادفة تلزم كثيراً من فئات المجتمع المتعلمة والمثقفة. وكثيراً ما يحار أديب أو شاعر أو موظف في أقسام إدارية أو علمية في اختيار مترادفات أخرى لكلمات يستعملها كثيراً حتى يَمَلُّها! مع أن اللغة العربية غنية في مواردها وتصريفاتها!

وهذا ما دعا عالماً لغوياً مثل «الرمّاني» إلى تأليف «**الألفاظ المترادفة**» من أجل ذلك.

ومما نذكره من فائدتها أن واصل بن عطاء كان ألثغ بالراء، فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع، وقد كان رئيس المعتزلة،

ولا بد له من محاجَّةِ خصومه، لأنه داع إلى نِحْلة... وإذا كان سبق أن أوردنا خطبة كاملة له أسقط منها الراء في الكتاب الأول من هذه السلسلة، فإنه لما هجاه بشار بن برد ـ الشاعر الأعمى المشهور ـ قال: «أما لهذا الملحد الأعمى المشنَّف، المكتنى بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة سجيَّة من سجايا الغالية، لبعثتُ إليه من يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله في جوف منزله، وفي يوم حفله، ثم كان لا يتولى ذلك إلى عقيلي أو سدوسي»!

فجعل الأعمى بدلاً من الضرير.

وجعل المشنَّف بدلاً من المرعث[1].

والملحد بدلاً من الكافر.

وقال: المكتنئ بأبي معاذ، بدلاً من بشار، أو ابن برد.

وقال: إن الغيلة سجية من سجايا الغالية. ولم يذكر المنصورية، ولا المغيرية ـ لمكان الراء ـ!

وقال: لبعثتُ إليه من يبعج بطنه، ولم يقل: لأرسلت إليه من يبقر بطنه.

وقال: مضجعه، ولم يقل: على فراشه.

وقال: الغيلة، ولم يقل: الغدر.

وقال: في يوم حفله، ولم يقل: بين معشره مثلاً.

وما ذكرناه هو إشارة وتنبيه إلى أهمية هذه الكتب النادرة المفيدة، وتحبيذ لاستعمالها، بدل تكرار كلمات معدودة، في موضوع وجيز، مرات عديدة!

---

(١) سمي بذلك لرعاث كانت له في صغره في أذنه.. من الرعثة وهي القرط.

● وكتاب **«البصائر والذخائر»** لأبي حيان التوحيدي، هو على نمط «عيون الأخبار» لابن قتيبة، و «البيان والتبيين» للجاحظ، و «العقد الفريد» لابن عبد ربه، لكنه ـ كما يقول محققه أحمد أمين ـ: يمتاز عن غيره بشيئين:

الأول: أنه يذكر لنا نتفاً لا عهد لنا بها.

والثاني: أنه يحكي لنا أخباراً من تجاربه ونظراته الخاصة.

وقد أثنى المؤلف على كتابه هذا في مقدمته، وذكر أنه جمعه في خمس عشرة سنة (٣٥٠ ـ ٣٦٥ هـ).

وكان اختيارنا من هذا الكتاب لفقرات مفيدة ونادرة مما نقله من علماء وحكماء. وقد أثبتُّ في هامش عرض الكتاب ما فيه كفاية بيان. والله يعصمنا من الزلل، ويأخذ بيدنا إلى ما فيه خير الدِّين، ورضا ربِّ العالمين.

ومن نوارد هذا الكتاب خبر جاريتين لبعض الظرفاء، إحداهما حاذقة، والأخرى متخلفة. فكان إذا قعد معهما وغنَّت الحاذقة خرق قميصه، وإذا غنَّت الأخرى قعد يخيطه!

وهل حقٌّ ما قاله المؤلف من أن كل شيء إذا أكل حرَّك فكَّه الأسفل، إلا التمساح فإنه لا يحرِّك إلا فكَّه الأعلى؟!

● وهل عرفتَ شخصية «الظريف» كيف تكون؟

إن الوشَّاء ـ وهو عالم بالأدب ـ يبادرك في مقدمة كتابه **«الظَّرَف والظُّرفاء»** فيقول: لن يكون الظريف ظريفاً حتى تجتمع فيه أربع خصال: الفصاحة، والبلاغة، والعفَّة، والنزاهة!

ثم يعمد إلى جمع أخبار هؤلاء الظرفاء في أبواب مختصرة، وفصول محبَّرة، ويقول: «كتابنا هذا روضة تتنزَّه فيها العقول، وعقودُ

جوهرٍ زيَّنتها الفصول، إذ لم نُخْلِه من أخبار طريفة، وأشعار ظريفة، وأشياء نمت إلينا من زِي ظرفاء الناس في الطعام، والشراب، والعطر، واللباس. ومذهبهم فيما اجتنبوه من ذميم الأفعال، واستحسنوه من جميل الشِّيم والأخلاق».

وقد انتقيت لك ـ عزيزي القارىء ـ بعض الأخبار الصالحة في هذا الكتاب.

● روي أن أيوب عليه السلام قال: إلهي ارزقني خير الدنيا والآخرة.

فأوحى الله إليه: إني أعطيتك ذلك وأنت لا تعلم؛ إني أكرمتك بالمرأة الصالحة رحمةً، ومن رُزق ذلك فقد رُزق خيري الدنيا والآخرة.

هذا جانب من بعض الحكايات والأخبار التي اخترتها من كتاب **«العنوان في الاحتراز من مكائد النسوان»** لابن البتنوني الصوفي المصري، من بلاد المنوفية. وهو يضم عشرات القصص الطريفة التي حاول جامعها أن يثبت من خلالها دهاء المرأة وكيدها، والوسائل التي اتبعتها لإيقاع الرجل بأحبلها، وللوصول إلى غايتها..

وقد سبق أن عرضنا كتاباً شبيهاً به في الكتاب الثاني من هذه السلسلة، وكان بعنوان «ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار»!

● «صنَّفتُ لك كتاباً، في البلاغة والإيجاز والبراعة، ضمَّنتُه موجزات الخُطب، ومنتخب بلاغات العرب، مما حُفِظَ من مُلَح كلامها، ومختصر ألفاظها، وموجز خطبها، وبراعة أدبها، ونادر خِطابها، ومُسْرَع جوابها، ومُعْجَب قرائحها، ومعجز بدائهها، إلى شيء من بلاغة البلغاء، وفصاحة الفصحاء، وجواب الأدباء، وإيجاز الخطباء، ومحاورة الخلفاء، وتهادي الظرفاء، ومكاتبة الأمراء، ونوادر

الشعراء، وحصافة ذوي الألباب، وثقافة أذهان الكُتَّاب، ورصافة عقول النساء، وتكامل أدب الإماء، ونظمتُه بما انتظم من الحِكَم، المحفوظة عن حكماء العجم، ووصايا المحتَضرين، وحكم المجانين..».

هذا ما قاله الوشَّاء في مقدمة كتابه الثاني **«الفاضل في صفة الأدب الكامل»**.

واقرأ معي أجمل وأوجز عبارة لخليفة عادل إلى أحد عمَّاله.. وهو يقول له في حكمة وأدب: «كثر شاكوك، وتتابع متظلموك، وقلَّ شاكروك، فإمَّا عدلتَ، وإما اعتزلت»!

● أرجوزة للشيخ أحمد الونَّان (ت ١١٨٧ هـ) مشهورة بـ «حديقة ابن الونَّان» وضع عليها شرحاً الأديب المغربي أحمد السلاوي وأسماه «زهر الأفنان من حديقة ابن الونَّان». ويأتي أحمد الجكني - وهو كاتب معاصر - فيختصر هذا الشرح، ويسميه: **«قطوف الريحان من زهر الأفنان»**، وذلك بتوجيه من بعض المشايخ، لما حوى من نفائس في فنه يحتاج إليها طالب العلم.

وستعرف من خلال مقتطفات متنوعة في هذا الكاتب أن «الشطرنج» - مثلاً - هو بكسر الشين، وفتحُه من لحن العامة! وقد قيل: إن اشتقاقه من «شدرنج» ومعناه أن من اشتغل به ذهب عناؤه باطلاً! وحكى الوطواط: أنه مشتق من «شش رَنْك» ومعناه ستة ألوان: فالشاه لون، والفرزان لون، والفيل لون، والرخ لون، والفرس لون، والبيذق لون!

● والخطيب الإسكافي عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان، كان إسكافاً، ثم خطيباً بالري، له كتب عديدة، منها كتابه **«لطف التدبير»** الذي جمع فيه أخباراً وحكايات في اثنين وثلاثين باباً، تنتظمها ستة موضوعات أساسية، هي ما يحتاج إليها القادة والملوك لإدارة شؤون البلاد ومعالجة أمور الفتن والشغب، في لطف التدبير،

والحروب وتدبيرها، ودفع المكروه بلطف أو بمكروه مثله، المكايدة والثأر والانتقام، فنون السياسة: كالتعرف على الأسرار والتستر وفسخ العزائم، ضروب مختلفة من لطف التدبير.

وهذه القصص والسِّير مستمدة من تاريخ العرب وأيامهم في جاهليتهم، ومن حوادث التاريخ الإسلامي، ومن تاريخ الروم والفرس.

إنه كتاب نفيس، في السياسة الاجتماعية، وفي فنون الحرب.. والسلم!

● وهل سمعتَ بالمؤلَّفات «المثلثة»؟!

مثل كتاب «المثلث في النَّسَب» لإسماعيل المروزي، و «المثلثات في القرآن» لأبي عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي، وكتاب «الثلاثة» لابن فارس اللغوي، الذي يعالج ثلاثة تقاليب من مادة واحدة على وزن واحد، مثل «الحليم والحميل واللحيم»، و «الضرام والضمار والمراض»!!

أما ما نحن بصدده فهو كتاب **«المثلث»** لابن السِّيد البطليوسي، من بطليوس بالأندلس (ت ٥٢١ هـ). ويعني المثلث هنا: «إيراد ثلاث حركات لثلاث كلمات تتشابه في الأصل والوزن وترتيب الحروف، وتختلف في حركة فائها أو عينها..».

فالبَنان ـ مثلاً ـ: الأصابع أو أطرافها.

والبِنان: الرائحة.

والبُنان: الروضة!

ورجلٌ خَشاش وخِشاش وخُشاش: الصغير الرأس اللطيف الجسم!

● وقد لا تجد قارئاً يحب التراث الإسلامي إلا وسمع بكتاب «الكشكول» لبهاء الدين العاملي! أما كتابه **«المخلاة»** فلا يعرفه إلا

القليل من القراء، على الرغم من أنه مثل كتابه الأول شكلاً ومضموناً. فهو من المجاميع الأدبية المرسلة، جمع فيه أخباراً وحكماً وآداباً وعلوماً كثيرة متنوعة، كثيرٌ منها نادر ومشوِّق. فكان حريّاً أن تُعرضَ بعض محتوياته، للتنبيه إليه، والتذكير بندرته!

وهل تعرف حكمة تقول: إذا شاورت العاقلَ صار عقله لك؟

وأن ما دخل بالرفق واللين لا يخرج إلا مع الروح؟

وأن عادة الكرام الجود، وعادة اللئام الجحود؟

وأنه إذا كثر الخدم كثرت الشياطين؟!

وأن الإمام الشعبي كان يعرف العاقل في يوم إن سكت، وفي ساعة إن تكلم؟!

ومن تجربتي في غربة دامت خمس عشرة سنة ـ حتى تاريخه ـ عرفت مغزى الحكمة الواردة في هذا الكتاب: «ليس بينك وبين بلد نسب، فخيرُ البلاد ما حملك»!!

● ويأتي أديب يمني، من أهل صنعاء، واسع الأفق، عارف بالتواريخ والأخبار، قوي الحافظة جداً، من تلاميذ العلاَّمة الشوكاني، يختاره الإمام المهدي ابن الإمام المتوكل، ليملي عليه غُرر الأشعار، ويشرح له عجائب القصص والآثار، وهو محمد بن صالح العصامي.. يأتي مندفعاً بحماس لعمل مشروع كبير، بل موسوعة جامعة لأعجب الأخبار، وأحسن الأشعار، وأندر الآثار، على أسلوب التسلسل التاريخي. ويكمل عمله في أكثر من خمسة عشر جزءاً، ويقدمه بعنوان **«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وعجائب الأخبار ومحاسن الأشعار وعيون الآثار»**، رأيتُ الجزء الأول منه مطبوعاً، وقد حوى حكماً وآداباً نادرة، وقطعاً تاريخية عن المتقدمين، إلا أن أكثر ما في هذا الجزء هو عن أخبار عبد الملك بن مروان وواليه على العراق الحجاج بن يوسف

الثقفي.. وهي أخبار نادرة، لم أقف عليها في مصادر أخرى!

من ذلك أن أعرابياً أحمق من البادية، كان ابن عم للحجاج، عندما زاره في الكوفة، رآه يولّي الناس، فطلب منه أن يوليه أيضاً، فذكر له الحجاج أن هؤلاء يعرفون الكتابة والحساب؛ فقال: إنه أيضاً يعرف الحساب! فوافق الحجاج على تعيينه على أن يقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أشخاص! فكان موقفه حرجاً جداً، ولم يتخلّص من الموقف إلا عندما مدَّ يده إلى حفيظته وأخرج درهماً، ليكتمل العدد أربعة دراهم، فيسهل التقسيم!! ثم أبدى استغرابه من حساب الحضريين أهل المدن!

وهل سمعت بعقد رسمي عن قطعة أرض يُكْتَبُ في قصيدة طويلة، يوقع عليها البائع والمشتري والشهود أيضاً؟

هذا طرف مما ستقرأه من مختارات في هذا الكتاب.

● والمحسِّن التنوخي كان قاضياً مشهوراً، وأديباً من الشعراء، تقلَّد أعمالاً كثيرة، وسكن بغداد، وتوفي فيها سنة ٣٨٤ هـ. يعمد هذا المثقف الجليل إلى جمع ما ورد من قصص وأخبار الكرماء الأجواد، ويضمُّها في سفر، ويقدِّمه للأجيال المسلمة، ليكون أدباً وأخلاقاً وتاريخاً واجتماعاً لهم.. ويسمي كتابه: **«المستجاد من فَعَلاتِ الأجواد»**.

إنه الكرم.. من أجمل وأطيب وأنبل الأخلاق الإسلامية الرفيعة..

وإمامنا الشافعي كان كريماً جداً.. فقد قَدِمَ مرة من صنعاء إلى مكة المكرمة بعشرة آلاف دينار. وفي موضع خارج مكة ضرب خباءه، ونثر الدنانير على ثوب، وصار كلُّ من يدخل عليه يقبض قبضة ويعطيه، حتى صلى الظهر. ثم قام، ونفضَ الثوب وليس عليه شيء!!

وتحكي سُعدى بنت عوف أنها رأت طلحة بن عبيد الله، الذي سماه رسول الله ﷺ «طلحة الجود»، و «طلحة الخير» و «طلحة

الفياض» ـ وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ تحكي أنها رأته مهموماً.. ثقيل الهم، فاستفسرت منه عن السبب في ذلك فقال: اجتمع عندي مالٌ كثير أهمَّني وغمَّني، فتقول: وما يغمُّك؟ ادْعُ قومك فقسِّمه فيهم!

ويدعو قومه.. ويقسمه فيهم فعلاً.. ثم تسأل الغلام: كم كان المبلغ؟ فيقول: أربعمائة ألف!

أي كرم هذا؟ هنيئاً للأغنياء الكرماء، وتعساً للبخلاء منهم.

● ويمرض العلاّمة البليغ جار الله الزمخشري.. مرضاً ينهك جسمه! ثم يأخذ على نفسه الميثاق إن مَنَّ الله عليه بالصحة أن «لا يَطَأَ بأخمصه عتبة السلطان، ولا واصِلِ بخدمة السلطان، وأن يربأ بنفسه ولسانه عن قرض الشعر فيهم، ورفعِ العقيرة في المدح بين أيديهم، وأن يعفَّ عن ارتزاق عطيَّاتهم.. وأنَ يعتصم بحبل التوكل ويتمسَّك، ويتبتَّل إلى ربِّه ويتنسَّك.. وأن لا يدرّس من العلوم التي هو بصددها إلا ما هو مهيبٌ بدارسهِ إلى الهدى، رادعٌ عن مشايعة الهوى، ومُجْدٍ عليه في علوم القراءات والحديث وأبواب الشرع، من عرف منه أنه يقصد بارتياده وجه الله تعالى... وحين أتاح الله له الصحة التي لا يُطاق شكرُها، وألطف له في الوفاء بما عهد.. عمل في إنشاء المقامات حتى تَمَّمها خمسين مقامة، يعظ فيها نفسه، وينهاها أن تركن إلى ديدنها الأول.. إلا على سبيل التندُّم والتحسُّر، ويأمرها أن تلجَّ في الاستقامة على الطريقة المثلى.. والله يسأل أن يلقي عليها قبولاً من القلوب، ويرزقها ميلاً من النفوس، وإنصاتاً من الأسماع، وتسييراً في البلاد...». هذا ما قاله في مقدمة كتابه «**مقامات الزمخشري**».

إنها فريدة في عالم «المقامات».. وما زالت تحتفظ بهذه الميزة.. ولذلك اخترناها لهذا الكتاب!

* * *

كان ما سبق تعريفاً بما سيُعرض من الكتب النادرة في **الباب الأول** من هذا الكتاب، الذي درجتُ فيه على طريقة كتبي السابقة من هذه السلسلة.

أما **الباب الثاني**، فهو مختارات موثقة من بعض الكتب التي تدخل في حكم النادر غالباً، وإذا لم تكن في مجموعها كذلك؛ فإن الأخبار والحكايات المنتقاة منها تدخل في هذا الحكم. وقد رتبتها في مجاميعها حسب التسلسل الهجائي لعناوين كتبها، وهي التالية:

- **أبواب مختارة من كتاب ابن السكيت**، لمؤلف مجهول.

- **أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من «معجم السَّفَر»** لأبي طاهر السِّلَفي.

- **أسرار البلاغة**، لبهاء الدين العاملي.

- **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قُتل من الشعراء**، لابن حبيب البغدادي.

- **الألغاز النحوية**، للسيوطي.

- **التلخيص في معرفة أسماء الأشياء**، لأبي هلال العسكري.

- **التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار**، للأسدي.

- **ذم الهوى**، لابن الجوزي.

- **ذيل زهرة الآداب، أو جمع الجواهر في المُلح والنوادر**، للحصري.

- **العقفة والبررة**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

- **القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب**، لأبي السرور.

- **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، لابن خاقان.

- **المكافأة**، لأبي جعفر الكاتب.

- **المهذَّب في الكحل المجرَّب**، لابن النفيس.

- **نثار الأزهار في الليل والنهار**، لابن منظور.

* * *

وبعدُ - عزيزي القارىء - فهذا هو الكتاب الرابع الذي وفقني الله تعالى لتقديمه في هذه السلسلة، حيث صدرت الثلاثة الأُوَل حاملة العناوين التالية: «**جولة بين كتب غريبة**»، «**كتب نادرة من التراث الإسلامي**»، «**نوادرُ الكتب: غريبُها وطريفُها**». وقد انتهيت من الخامس، وهو بعنوان «**أسرار خزانة المكتبة التراثية: عرض مجموعة كتب نادرة**».

وقد لقيت هذه السلسلة إقبالاً كبيراً، مما شجعني على متابعة إصدارها، ففيها ما لذَّ وطاب من الأخبار، وما أفاد وأجاد من حكم وآداب، وما أبدع وأبهج من طرائف ونوادر..

والحمد لله الذي أعانني على هذا.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

محمد خير رمضان يوسف

١٤١٥/٣/١٥ هـ

الباب الأول

إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء(*)
للسيوطي

● عن أبي حماد بن أبي سليمان قال: من خاف أن يكون ثقيلاً فهو خفيف، ومن أَمِنَ أن يَثْقُلَ ثَقُلَ.

● وقال سفيان الثوري رحمه الله: إنه ليكون في المجلس عشرة كلُّهم يخفُّ عليَّ، فيكون فيهم الرجل الذي أستثقله، فيثقلون علي!

● وقال أبو يحيى: كنا نأتي ابنَ أبي عتيق، نقرأ عليه، فربما غمَّض عينيه، فنقف، فيقول: ما لكم؟ فنقول: يكفي، فقد نعستَ! فيقول: لا، ولكن مرَّ بي إنسان، فاستثقلته، فغمَّضتُ عيني!

● وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيل يقول:

فما الفيلُ تحملُه ميّتاً   بأثقلَ من بعضِ جُلاَّسنا!

● أهدى رجلٌ من الثقلاء إلى رجلٍ من الظرفاء جَمَلاً، ثم نزل عليه ضيفاً حتى ضاق به! فقال فيه:

(*) نشر الكتاب بتحقيق عبد العزيز المانع في مجلة «عالم الكتب» السعودية، مج ٤ ع ١ (رجب ١٤٠٣ هـ) ص ص ٨٩ ـ ١٠٠.
وذكر المحقق أن الذين كتبوا في الثقلاء في أعمال مستقلة هم ـ بالإضافة إلى السيوطي ـ: الحسن بن محمد الخلال، ومحمد بن الخلف بن المرزبان، ومحمد بن إسحاق الصيمري.
وحديثاً صدر كتاب «الثقلاء» من تأليف وجمع محمد بن ناصر العبودي، جمع فيه كل ما وقعت عينه عليه من نصوص عن هذه الفئة من الناس، في المصادر الأدبية والتاريخية والدينية وغيرها، كما ضمَّنه كتابَيْ ابن المرزبان والسيوطي، فصار بذلك أشمل كتاب في الثقلاء!

يا مُبْرِماً أَهْدىٰ جَمَلْ ... خُذْ وانصرفْ أَلْفَي جَمَلْ
قال: وما أوقارُها؟ ... قلت: زبيبٌ وعَسَلْ
قال: وَمَنْ يقودها؟ ... قلت له: ألفا رجلْ
قال: ومَنْ يسوقها؟ ... قلت له: ألفا بطلْ
قال: وما لباسها؟ ... قلتُ: حُلِيٌّ وحُلَلْ
قال: وما سلاحهم؟ ... قلت: سيوف وأَسَلْ
قال: عبيدٌ لي إذن؟ ... قلت: نعم، ثم خَوَلْ
قال: بهذا فاكتبوا ... إذن عليكم لي سِجِلْ
قلت له: ألفي سِجِلْ ... فاضمنْ لنا أن ترتحلْ
قال: وقد أضجرتُكم؟ ... قلت: أَجَلْ ثم أَجَلْ
قال: وقد أبرمتُكم؟ ... قلت له: الأمرُ جَلَلْ
قال: وقد أثقلتكم؟ ... قلت له: فوق الثِّقلْ
قال: فإني راحلٌ ... قلت: العَجَلْ ثم العَجَلْ
يا جبلاً من جبلٍ ... في جبلٍ فوق جبل!

● في تاريخ ابن النجار، عن علي بن الفضيل بن عياض، أن رجلاً سأله ـ وقد كُفَّ بصرُه ـ: كيف وجدتَ ذهاب بصرك؟ قال: أصبتُ فيه راحتين: غضُّهما عن محارم الله عز وجل، ولا أنظرُ إلى ثقيل!

● وروى الحافظ المنذري في تاريخه بسنده عن داود الطائي قال: كان الأعمش إذا رأى ثقيلاً، شرب الماء وقال: النظر إلى وجه الثقيل حُمَّى نافض، والحُمَّى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء!

● وقال أبو المعالي محمد بن الحسن بن حمدون ـ صاحب التذكرة ـ في ثقيل أقرع:

يا خفيف الرأس والعقل معاً ... وثقيلَ الروح أيضاً والبدن
تدَّعي أنك مثلي طيِّبٌ ... طيِّبٌ أنت ولكن باللبن

● وقال عبد الحميد ابن الوزير أبي القاسم المغربي:

لقيتُ من الدنيا أموراً ثلاثةً ... ولو كان منها واحدٌ لكفانيا
تكدُّرُ عيشِ المرء بعد صفائه ... وهجرُ خليلٍ كان للهجر قاليا
وثالثةٌ تُنسي الأحاديثَ كلَّها ... ثقيلٌ إذا أُبعدتُ عنه أتانيا

● وقال الأديب عبد الله بن محمد الإسحاقي: كنتُ يوماً عند الأديب أبي بكر بن أحمد العيدي، وقد دخل عليه جماعةٌ فأطالوا القعود عنده، فأملىٰ عليَّ:

مَنْ مجيري من الجبالِ الرواسي ... شغلوني وضيَّقوا أنفاسي
آنسوني بالقربِ منهم وما الـ ... وحشةُ إلا في ذلك الإيناس!

● وقال البهاء بن زهير:

وثقيلٍ ما بَرِحْنَا ... نتمنَّى البعدَ عنه
غاب عنا ففرحنا ... جاءنا أثقلُ منه!

● وقال بعضهم في ثقيلٍ ـ أورده اليغموري في تذكرته ـ:

بحقِّ الله متِّعني ... من وجهك بالبعدِ
فما أشوقني منك ... إلى الهجران والصدِّ
فما تصلحُ للهزلِ ... ولا تَصلحُ للجِدِّ
وماذا فيك من ثِقَلٍ ... وما ذا فيك من بَرَدِ
فلا صُبِّحْتَ بالخير ... ولامُسِّيتَ بالسَّعْدِ

● وقال بعضهم:

أنتَ يا هذا ثقيلُ ... وثقيلٌ وثقيلُ
أنت في المنظر إنسا ... نٌ وفي الميزان فيلُ

● وقال آخر:

وثقيل قال: صِفْني ... قلت: ما فيك أصفْ؟
كلُّ ما فيك ثقيلٌ ... خُفَّ عني وانصرفْ!

أحكام الخواتم وما يتعلق بها(*)
لابن رجب

● كان نقش خاتم النبي ﷺ «محمد رسول الله».

- وكان أبو بكر رضي الله عنه يتختم بعد رسول الله ﷺ بخاتمه. وقيل: كان له خاتم نقشه: «نعم القادر الله».

- وكذلك عمر رضي الله عنه، تختم بخاتم رسول الله ﷺ بعد أبي بكر. وقيل: كان له خاتم نقشه: «كفى بالموت واعظاً».

- وكان عثمان يتختم بخاتم رسول الله ﷺ ست سنين من خلافته، حتى سقط منه في بئر أريس، فاتخذ خاتماً من فضة نقشه: «آمنت بالذي خلق فسوَّى».

(*) . . . أحكام الخواتم وما يتعلق بها/ تأليف زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي؛ دراسة وتحقيق عبد الله بن محمد بن أحمد الطريقي - ط ٢ -. الرياض: مطابع شركة الصفحات الذهبية، ١٤١٤ هـ، ٢٨٨ ص.

من فصول هذا الكتاب: حكم لبس الخواتم على التفصيل، زكاة خاتم الذهب، أحكام فص الخاتم، أحكام نقش الخاتم، حكم نقش الصورة على الخاتم، حكم التختم في اليمين واليسار، حكم التختم في السبابة والوسطى، وضع الفص في باطن الكف، تحريك الخاتم عند الوضوء أو الغسل، حكم الصلاة في الخاتم المحرم، حكم نزع الخاتم من يد الميت، الزكاة فيما يلبسه الرجل من خاتم الفضة، بيع الخواتم، شراء الخواتم، استصناع الخواتم، استئجار الخاتم للتحلي به، وقف الحلي، إتلاف الخاتم، الشفعة في الخواتم، إيداع الخواتم، اللقطة في الخواتم، سرقة الخاتم، الهبة في الخواتم.

والمؤلف عالم ومحدث مشهور، صاحب «جامع العلوم والحكم» وغيره من الكتب الشرعية المفيدة، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥ هـ.

وقد اخترنا من هذا الكتاب النفيس بعض الأحكام. . والأخبار، السهلة، النادرة.

- وكان نقش خاتم علي رضي الله عنه: «الله الملك الحق المبين».

- وخاتم ابنه الحسن: «الله أكبر وبه استعنت».

- وخاتم أخيه الحسين: «إن الله بالغُ أمره».

- وكان نقش خاتم معاوية رضي الله عنه: «لكل عمل ثواب».

- وكان نقش خاتم ابنه يزيد: «ربنا الله».

- وابنه معاوية: «إنما الدنيا غرور».

- وكان نقش خاتم عبد الله بن الزبير: «أبو حبيب العائذ بالله».

- ونقش خاتم مروان بن الحكم: «الله ثقتي ورجائي».

- ونقش خاتم ابنه عبد الملك: «آمنت بالله مخلصاً».

- ونقش خاتم ابنه الوليد: «يا وليد أنت ميت».

- ونقش خاتم أخيه سليمان: «آمنت بالله مخلصاً».

- وكان نقش خاتم عمر بن العزيز: «عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله»... وقيل: «الوفاء عزيز».

- ونقش خاتم يزيد بن عبد الملك: «قني الحساب»[1].

- وكان لأخيه خاتم نقشه: «الحكم للحكم الحكيم».

- وكان خاتم الوليد بن يزيد: «بالعزيز يثق الوليد».

- ونقش خاتم يزيد بن الوليد بن عبد الملك: «يا يزيد قم بالحق تُصبه».

- ولأخيه إبراهيم بن الوليد: «توكلت على الحي القيوم».

---

(١) هكذا! وفي الأعلام ٨/ ١٨٥ أن نقش خاتمه «فني الشباب يا يزيد».

ـ وعلى خاتم مروان الجعدي: «اذكر الموت يا غافل».

ـ وكان خاتم السفاح عبد الله: «الله ثقةُ عبدِ الله وبه يؤمن».

ـ ونقش خاتم ابنه المهدي: «حسبي الله».

ـ ونقش ابنه موسى الهادي: «الله ربي».

ـ وكان نقش خاتم أخيه الرشيد: «هارون كن من الله على حذر».

ـ ونقش خام ابنه الأمين: «لكل عمل ثواب».

ـ ونقش خاتم أخيه المأمون: «سلِ الله يعطك».

ـ ونقش خاتم أخيه المعتصم: «الله ثقة محمد بن الرشيد وبه يؤمن».

ـ ونقش خاتم ابنه الواثق: «الله ثقة الواثق».

ـ ونقش خاتم أخيه المتوكل: «على إلهي اتكالي».

ـ ونقش خاتم ابنه المنتصر: «يؤتىٰ الحذر من مأمنه».

ـ وعلى خاتم المستعين أحمد ابن المعتصم: «في الاعتبار غنى عن الاختبار».

ـ وعلى خاتم المعتز ابن المتوكل: «الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء».

ـ وعلى خاتم المهتدي ابن الواثق: «من تَعدَّى الحق ضاق مذهبه».

ـ وعلى خاتم أحمد ابن المتوكل: «السعيد من وعظ بغيره».

ـ وعلى خاتم المعتضد أحمد ابن الموفق ابن المتوكل: «أحمد يستكفي ربه».

ـ وعلى خاتم ابنه المكتفي علي: «بالله عليٌّ بن أحمد يثق».

ـ وعلى خاتم أخيه المقتدر ابن جعفر: «الحمد لله الذيٰ ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء».

ـ وعلى خاتم أخيه القاهر: «محمد رسول الله، القاهر بالله، المنتقم من أعداء الله لدين الله».

ـ وعلى خاتم الراضي ابن المقتدر وأخيه المتقي: «المتقي لله».

ـ وعلى خاتم المستكفي ابن المكتفي: «علي بن أحمد المستكفي بالله».

ـ وعلى خاتم المطيع ابن المقتدر: «المطيع لله»، وعلى خاتم له آخر: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ـ وعلى خاتم ابنه الطائع والقادر أحمد بن إسحاق ابن المقتدر: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ـ وكان نقش خاتم الظاهر لأمر الله محمد بن الناصر: «راقب العواقب».

ومن خواتم الصحابة والتابعين والأئمة:

ـ كان نقش خاتم أبي عبيدة بن الجراح: «الخُمس لله».

ـ وروي أن الزبير كان نقش خاتمة: «ثقتي بالرحمن».

ـ ونقش خاتم حذيفة بن اليمان: «الحمد لله».

ـ ونقش خاتم أويس القرني: «كن من الله على حذر».

ـ وعلى خاتم الحسن البصري: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين».

ـ وعلى خاتم النخعي: «نحن بالله وله».

ـ وعلى خاتم الشعبي: «الله ولي الخلق».

ـ وعلى خاتم طاووس: «اعبد الله مخلصاً».

ـ وعلى خاتم الزهري: «محمد يسأل الله العافية».

ـ وعلى خاتم هشام بن عروة: «رب زدني علماً».

- وعلى خاتم مالك بن أنس: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

- وعلى خاتم الشافعي: «بالله ثقة محمد بن إدريس».

- وعلى خاتم الربيع بن سليمان: «الله ثقة الربيع بن سليمان».

- وكان نقش خاتم عبد الأعلى بن مسهر الغساني: «أبرمت فقم»، فإذا استثقل أحداً ختم به طينة ثم رماها إليه فيقرأها!

● الميت إذا كان في يده خاتم نزع عنه ولم يترك معه.. لأنه في تركه إضاعة للمال بغير غرض صحيح.

● استئجار الخاتم للتحلي به جائز في الجملة، لأنها منفعة مباحة مقصودة.

ثم إن استأجره بغير جنسه جاز بلا إشكال. وإن استأجره بجنسه، كاستئجار خاتم الفضة بفضة، فحكى الأصحاب فيه روايتين.

● لو أتلف أحدهم خاتم غيره فله حالتان:

إحداهما: أن يكون مباحاً، كخاتم الفضة للرجل، فهذا عليه ضمانه، كما لو أتلف ثوبه.

والثانية: أن يكون الخاتم محرماً، كالذهب على الرجال. فلو كسره - وهو لابسُه - لم يضمنه.. بناء على أن كسر آنية الخمر وشق ظروفه لا يوجب ضماناً، وسواء أمكنه إفراغه بدون ذلك أو لا.

وأما إن أتلفه بالكلية، فذكر طائفة من الأصحاب في الإناء المحرم أنه يضمن قيمته بدون الصياغة الممنوعة..

● لو كان الخاتم مشتركاً بين اثنين، فباع أحدهما نصيبه، فهل للآخر أخذه بالشفعة أم لا؟ روايتان معروفتان. أشهرهما أن لا شفعة فيه، بناء على أن الشفعة إنما تثبت في العقار خاصة، بل وثبوتها في العقار مختص على ظاهر المذهب [أي الحنبلي] بما ينقسم فيه، فكيف بمنقول لا ينقسم؟ وهذا قول أكثر الفقهاء. والرواية الثانية: فيه الشفعة.

● إذا أودع عنده خاتماً:

فإن أمره بوضعه في أصبعه، جاز ذلك بلا إشكال.

ثم إن عيَّن له أصبعاً فوضعه فيها فلا كلام. وإن خالف، ففيه مسائل:

- إحداها: إن قال له: اجعله في الخنصر فلبسه في البنصر، فلا ضمان. لأنها أحرز من الخنصر لغلظها. وأيضاً فالخنصر وقاية للبنصر، فإن الخنصر طرف والبنصر من ورائها.

- الثانية: إن قال له: اجعله في البنصر فجعله في الخنصر، ضمن. لأن الخنصر عدول إلى دون الحرز الذي عينه.

- الثالثة: جعله في الوسطى مع تعيين غيرها. فإذا أمكن إدخال الخاتم في جميع الأصبع لم يضمن، لأنها أغلظ من الخنصر والبنصر، فهي أحرز. وإن لم يكن إدخال الخاتم إلى آخر الأصبع، فجعله في أولها أو وسطها، ضمن، لسرعة سقوطه بذلك، فهو به مفرِّط.

وأما إن أودعه الخاتم ولم يأمره بوضعه في الأصبع، فهل له وضعه فيها؟

ينبغي أن يقال: إن لم يجد أحرز من وضعه في أصبعه جاز ذلك بنية الإحراز، كما يجوز ركوب الدابة المودعة لمصلحة السقي ونحوه. وإن وجد حرزاً غير الأصبع احتمل وجهين:

- أحدهما: جوازه بنية الحفظ، لأن الأصبع للخاتم أحرز وأصون.

- والثاني: لا يجوز، لأن ذلك لبس وانتفاع بمال المودع فلا يجوز بدون إذنه.

إذا اصطاد سمكة فوجد فيها خاتماً فهو لُقطة. لأن الخاتم مال ضائع من صاحبه، ليس مستفاداً من البحر، بخلاف ما لو وجد فيها لؤلؤة، فإنها له، لأنها من مباح البحر، كالسمكة نفسها. إلا أن تكون

اللؤلؤة عليها آثار المُلك، مثل أن تكون مثقوبة، فإنها تكون لُقطة، لأن اللؤلؤ المثقوب جرى عليه ملك الناس بلا ريب.

فأما إن اشترى سمكة فوجد فيها خاتماً أو غيره مما لا يكون في البحر، فالمذهب أنه لقطة، لأنه مال ضائع، فهو كما وجده في البر.

أساس الاقتباس(*)
لابن غياث الدين

● قال أبو العيناء: كان لي خصوم ظلمة، فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دواد، فقلت: قد تصافقوا علي وصاروا يداً واحدة؟ فقال: **﴿يد الله فوق أيديهم﴾**(1).

فقلت: إن لهم مكراً؟ فقال: **﴿لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾**(2).
فقلت: هم كثير؟! فقال: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾**(3).

(*) .. أساس الاقتباس/ جمع اختيار الدين بن غياث الدين الحسيني - إ ستانبول: مطبعة بهران، ١٢٩٨ هـ، ١٨٧ ص.
والكتاب مجموعة أدبية إسلامية، اختار فيها المؤلف تسعة موضوعات عامة، وقسمها إلى أجزاء، وراح يستدل على كل موضوع بالآيات القرآنية، ثم بالأحاديث الشريفة، ثم بالحكم والأمثال، ثم بالشعر. وهذه الموضوعات هي: السلاطين والملوك العظام، القضايا السماوية والحكم السبحانية، الأفعال المرضية والأحوال الزكية، الصفات الذميمة والسمات الدميمة، قرابة الأولاد وما يليق بحال الأصحاب، الفصاحة والفراسة والتدبير والكياسة، الأرض وبعض ما فيها من المضار والمنافع، أحوال الزمان وطوارق الحدثان، المتفرقات.
ثم ختم الكتاب بفصل سماه: «الحكايات اللطيفة اللائقة والمطايبات الطريفة الرائقة». والمقتطفات الواردة هنا إنما أخذ من هذا الفصل الأخير.
والمؤلف مختلف في اسمه.. فبينما ورد اسمه على الكتاب الذي نحن بصدده كما دُوِّن في بيانات الكتاب، وورد في مصادر أخرى: الحسين بن غياث الدين التربتي الهروي الحسيني (راجع الأعلام ٢/ ٢٥١ ط ٨). وهو من أهل هراة، ولي قضاءها وتوفي بها سنة ٩٢٨ هـ. وله كتب، منها: «المقامات»، و «مجالس الملوك».

(1) سورة الفتح: الآية ١٠.
(2) سورة فاطر: الآية ٤٣.
(3) سورة البقرة: الآية ٢٤٩

● سافر أعرابي، فرجع خائباً، فقال: ما ربحنا في سفرنا إلا ما قصَّرنا من صلواتنا!

● خفف أعرابي صلاته، فقام إليه عمر ـ رضي الله عنه ـ بالدرة وقال: أعدها. فلما فرغ ثانياً قال عمر: أهذه خير أم الأولى؟ قال: بل الأولى. قال: لِمَ؟ قال: لأن الأولى صليتها لله، وهذه خوفاً من الدرة. فضحك عمر رضي الله عنه.

● سأل الماعونُ أبا يونس ـ فقيه مصر ـ عن رجل اشترى شاة، فضرطت، فخرجت منها بعرة، ففقأت عين رجل، على من الدية؟ قال: على البائع. قال: ولِمَ، قال: لأنه باع ولم يبرأ من العهدة!

● قيل لأعرابي: ما تسمون المرق؟ قال السخين. قال: فإذا برد؟ قال: لا ندعه يبرد!

● قيل لتاجر: ما أعجب ما رأيت من عجائب البحر؟ قال: سلامتي منه!

● بنى ابن الأسد قصراً بالبصرة، وكانت في جانب منه حجرة صغيرة لعجوز كانت تساوي عشرين ديناراً. فاحتاج إليها، فطلبها بمائتي دينار، فأبت! فقيل لها: إن القاضي يحجر عليك لسفاهتك، لأنكِ ضيَّعت مائة وثمانين ديناراً بامتناعك عن بيع ما يساوي عشرين بمائتين!! فقالت: ولِمَ لا يحجر على من يشتري بمائتين ما يساوي عشرين؟

فاشتُريت بثلاثمائة دينار!

● احتكم رجلان إلى شريح، وأقرَّ أحدهما في خلال كلامه بشيء توجَّه به الحكمُ عليه، فحكم به شريح! فقال الرجل: أصلحك الله! تحكم عليَّ بغير شاهد؟! فقال: قد شهد عليك ابن أخت خالتك!

• أخذ يعقوب بن الليث رجلاً من أهل سجستان موسراً، فأفقره. فدخل عليه بعد مدة، فقال له: كيف أنت الساعة؟ قال: كما كنتُ قديماً! قال: وكيف كنتَ قديماً؟ قال: كما أنا الساعة! فأطرق، وأمر له بعشرة آلاف.

• سأل رجل الشعبيَّ عن المسح على اللحية؟ قال: خلِّلها. قال: أتخوَّف أن لا أبلَّها.

قال: إن تخوفت فانقعها من أول الليل!

• مرَّ أعرابي بآخر فقال: من أين أقبلت يا ابن عم؟

قال: من الثنية.

قال: فهل أتيت بخبر؟

قال: سَلْ عما بدا لك.

قال: كيف علمك بالحي؟

قال: أحسنُ العلم.

قال: هل لك علمٌ بنفَّاع؟

قال: حارسُ الحيِّ.

قال: فبجملنا السقاء؟

قال: إن سنامه ليخرج من العيط!

قال: فبأم عثمان؟

قال: لا تدخل من الباب إلا ملتحفة بالثياب المعصفرات.

قال: فعثمان؟

قال: وأبيك إنه جرو الأسد، يلعب مع الصبيان وبيده الكسرة!

قال: فبالدار؟

قال: إنها لخصيبة الجناب، عامرة الفناء.

ثم قام عنه، وقعد يأكلُ ناحيةً، ولا يَدْعُه. فمرَّ كلبٌ، فصاح به. ثم قال: يا ابن عمي، أين هذا الكلب من نفَّاع؟

قال: يا أسفى على نفَّاع! نفَّاع قد مات!

قال: وما أماته؟!

قال: أكل من لحم الجمل السقاء، فاغتُصَّ بعظم منه، فمات!

قال: إنَّا لله! وقد مات الجمل السقاء؟ فما أماته؟!

قال: عثر بقبر أم عثمان، فانكسرت رجله!

قال: ويل أمك! أماتت أم عثمان؟

قال: إي والله! أماتها الأسف على عثمان!

قال: ويلك! أمات عثمان؟

قال: إي وعهد الله، سقطت عليه الدار، فمات!

فرمى الأعرابي بطعامه، ونثره، وأقبل ينتف لحيته ويقول: فأين أذهب؟!

فقال: إلى النار!

وأقبل على طعامه يلتقطه ويأكله، ويهزأ به ويضحك منه، ويقول: لا أرغم الله إلا أنف اللئام!

● اعترض رجلٌ المأمونَ فقال: أنا رجلٌ من العرب.

فقال: ليس ذاك بعجب!

قال: وإني أريد الحج.

فقال: الطريق أمامك نهج!

قال: وليست لي نفقة!

فقال: قد سقط عنك الفرض!

قال: إني جئتك مستجدياً لا مستفتياً!

إعتاب الكُتَّاب(*)
لابن الأبَّار

● يزيد بن أبي مسلم الثقفي كان كاتباً للحجاج، ذا منزلة رفيعة عنده، وكان الأخير يقول له: أنت جلدة ما بين عينَيْ!

(*) إعتاب الكُتَّاب/ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي المعروف بابن الأبّار؛ حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر ـ دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٨٠ هـ.
ارتكب ابن الأبار ذنباً أثار عليه غضب السلطان الحفصي أبي زكريا وغيَّر قلبه عليه، فألف هذا الكتاب مريداً بذلك أن يضرب له الأمثال على حلم الملوك وعفوهم عن أخطاء كُتَّابهم. فراح يبحث عن هذه الأمثال في تراجم الكُتَّاب، في الشرق والغرب الإسلاميين، ويتقصَّاها ويجمعها، ويبرز في كل مثل إقالة الذنب، ليحث بذلك السلطان على إقالة ذنبه.. ومن هنا كان هذا الكتاب ـ كما ذكر محققه ـ الذي احتوى على تراجم مقتضبة لهؤلاء الكُتَّاب وأخطائهم وعفو أسيادهم عنها.. وعنوان الكتاب يكشف عن موضوعه، فالإعتاب مصدر من «أعتب». وتقول: أعتبه: إذا أعطاه العُتْبىٰ، أي الرضا، وأزال لومه وأرضاه. فإعتاب الكُتَّاب إذاً إعطاؤهم العُتبىٰ بالرضى عنهم والعفو عن زلاتهم وإعادة الحظوة والحقوق إليهم.
والكتاب في ثلاثة أقسام: الأول مقدمة يستعرض المؤلف موضوع كتابه ويشرح الغرض منه.
والثاني تراجم الكُتَّاب وعددها خمس وسبعون ترجمة. والقسم الثالث خاتمة المؤلف.
والمؤلف أديب ومن أعيان المؤرخين، من أهل بلنسية بالأندلس، رحل عنها لما احتلها الفرنج، واستقرَّ بتونس، فقرَّبه صاحبها السلطان أبو زكريا مولاه كتابة «علامته» في صدور الرسائل مدة، ثم صرفه عنها، وأعاده. ولما خلفه ابنه المستنصر علم أن ابن الأبار كان يزري عليه في مجالسه، ووشى به الحُسَّاد بعد أن عزيت إليه أبيات في هجائه، فغضب عليه، وأمر بضربه بالسياط وقتله وإحراق مؤلفاته سنة ٦٥٨ هـ.

ولما أُدخل في نكبته على سليمان بن عبد الملك وهو موثق في الحديد، ازدراه، ونَبَتْ عينه عنه ـ وكان دميماً ـ وقال: ما رأيتُ كاليوم قط! لعن الله امرأً أجرَّكَ رسنه، وحكَّمك في أمره!

فقال: يا أمير المؤمنين، ازدريتني لمَّا رأيتني والأمرُ عني مدبر، ولو رأيتني والأمرُ عليَّ مقبل، لاستعظمتَ مني ما استصغرت، ولاستجللتَ ما استحقرت.

فقال سليمان: صدقتَ ثكلتك أمك! اجلس.

فجلس، فقال له: عزمت عليك يا ابن أبي مسلم لتخبرنِّي عن الحجاج، أتُراه يهوي في نار جهنم، أم قَرَّ بها؟

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل هذا في الحجاج وقد بذل لكم النصيحة، وأخفرَ دونكم الذمة، وأمَّن وليَّكم، وأخاف عدوَّكم، وكأني به يوم القيامة على يمين أبيك ويسار أخيك، فاجعله حيث شئت!

● عَلِق كاتب للحجاج جارية كانت تقف عليه وتمرُّ بين يديه، وعلقته هي أيضاً. فكانت تسلم عليه بحاجبها إذا غفل الحجاج.

فكتب يوماً بين يديه كتاباً إلى عامل له، ومرَّت الجارية ولم تسلم، خوفاً أن يفطن الحجاج. فأحدثتْ في نفس الكاتب ما أذهله، حتى كتب عند فراغه من الكتاب: «مرَّت ولم تسلم!» وختمه بخاتم الحجاج على العادة.

فلما وصل الكتاب إلى العامل (المرسل إليه)، أجاب عن فصوله كلها، ولم يدر ما معنى قوله «مرَّتْ ولم تسلم». وكره أن يدع الجواب عنه. ثم رأى أن يكتب: «دعها ولا تُبالِ». وأرسل الكتاب إلى الحجاج.

فأنكر الحجاج ذلك لمَّا وقف عليه، ودعا الكاتب فقال: لا أدري!

وكان الحجاج إذا صُدق لم يعاقب بشدته.

فقال له الكاتب: أينفعني عندك الصدق أيها الأمير؟

قال: نعم.

فأخبره الخبر، ودعا الحجاج بالجارية فسألها، فصدقته أيضاً ووافقته.

فعفعا عنهما، ووهبها له!

● المأمون في خلفاء بني العباس أغزرهم علماً، وأشهرهم حِلماً. وكان يقول: لو علم الناس لذّتنا بالعفو لتقرَّبوا إلينا بالجرائم!

وقال لعمه إبراهيم بن المهدي: لقد حببتَ إليَّ العفو حتى خفتُ ألاً أؤجر عليه!

وقال فيه الحسن بن رجاء:

صفوحٌ عن الإجرام حتى كأنه — من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الأذى — إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكُرْهِ مسلما

● أحمد بن يوسف الكاتب، كاتب ووزير من أهل الكوفة، وَلِيَ ديوان الرسائل للمأمون ووزر له. تولَّى مرة صدقات البصرة، فجار فيها وظلم، وكثر الشاكي به والداعي عليه، ووافى باب أمير المؤمنين المأمون زُهاء خمسين من جلة البصريين. فعزله المأمون، وجلس لهم مجلساً خاصاً. وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم. فكان مما حُفظ من كلامه أن قال: يا أمير المؤمنين، لو أن أحداً ممن ولي الصدقات سلم من الناس لسلم رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: **﴿ومنهم من يَلْمِزُكَ في الصدقات فإن أُعطوا منها رَضُوا وإن لم يُعْطَوْا منها إذا هم يسخطون﴾**[1].

فأعجب المأمونَ جوابُه، فاستجزل مقامه، وخلى سبيله!

● قال المأمون لبعض ولده وقد رأى في كلامه أخطاء لغوية: ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين مشهده؟ أيسرُّ أحدَكم أن يكون لسانهُ كلسان أَمَتِه أو عبده فلا يزالُ الدهرَ أسير كلمته؟

---

(١) سورة التوبة: الآية ٥٩.

● كان الجاحظ مائلاً إلى ابن الزيات[1]، منحطاً في هواه. فلما نكبه المتوكل أُدخل الجاحظ على أحمد بن أبي دواد مقيداً، فقال له: والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة، كفوراً للصنيعة، معدداً للمساوىء، وما فُتّني باستصلامي لك[2]، ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك، ورداءة دخيلتك، وسوء اختيارك، وتكالب طباعك!

فقال الجاحظ: خفِّض عليك أصلحك الله، فوالله لأن يكون لك الأمر عليّ خيرٌ من أن يكون لي عليك، ولأن أُسيءَ وتُحسن أحسنُ في الأحدوثة من أن أحسن فتسيء، ولأن تعفو عني في حال قدرتك عليّ أجملُ بك من الانتقام مني!

فعفا عنه!

● أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي كان وزيراً للحاكم الفاطمي في مصر، كما وزر للظاهر والمستنصر. نكبه الحاكم، وأمر به فقُطعت يداه جميعاً لجناية جناها أو تجنّاها هو عليه. فما ارتاع لما أصابه!

وحُكِي عنه أنه عصب يديه إثر قطعهما، وانصرف إلى ديوانه، فجلس لخدمته على عادته وقال: إن أمير المؤمنين لم يعزلني، وإنما عاقبني لجنايتي!

فجعل الناس يعجبون منه ـ وكان جَلْداً حازماً ضابطاً داهية فصيحاً ـ.

فلما بلغ ذلك الحاكم استعظمه له، وشَرُف به لديه، ورقَّ على فظاظته لِما نزل به، فرقاه إلى الوزارة، وإنما كان قبل في أحد الدواوين..

● ذكر أبو جعفر النحاس أن عليَّ بن زيد الكاتب استصحبه بعضُ الملوك، فقال علي الكاتب: أصحبك على ثلاث.

قال: وما هي؟

---

(١) محمد بن عبد الملك الزيات: وزير أديب كاتب شاعر، نكبه المتوكل وعذبه إلى أن مات ببغداد سنة ٢٣٣ هـ. وكان قد كتب للمعتصم ووزر له ولابنه الواثق.

(٢) صلمه: قطعه.

قال: لا تهتك لي ستراً، ولا تشتم لي عرضاً، ولا تقبل فيَّ قول قائل حتى تستبرأني.

قال: هذا لك، فما لي عندك؟

قال: لا أُفشي سرَّك، ولا أؤخر عنك نصيحة، ولا أؤثر عليك أحداً.

قال: نعم الصاحب المستصحب أنت!

● حُكي أن النعمان بن المنذر لقي يوم بؤسه شاباً من العرب رقَّ لكَلَفه.

وكان هذا الشاب قد سأله لقاء ابنة عمه قبل تلفه.

فقال النعمان بن المنذر: ومن يضمنك؟

قال: كاتبك هذا ـ ولم تكن بينهما معرفة ـ.

فقال النعمان للكاتب: أتضمنه على شريطة قتلك إن أخلفك؟

قال: نعم!

فذهب الشاب، وأتى في آخر النهار وقال للكاتب: قم أبرئك مما ضمنته ودخلتَ معي تحته.

وأتيا النعمان، فعجب منهما وقال للشاب: ما الذي حملك على الانصراف إليه بعدما أفلتَّ منه؟

قال: خشيتُ أن يُقال ذهب الوفاء!

ثم قال للكاتب: وأنت ما حملك على ضمانه على أن أقتلك عنه؟

قال: خشيتُ أن يُقال ذهب الكرم!

فقال النعمان: وأنا قد عفوتُ عنه خشية أن يُقال ذهب العفو!

ثم أسقط النعمان «يوم البؤس»، فلم يكن له يومُ بؤس بعدها. . .

الألفاظ المترادفة(*)
للرماني

• في معنى الفجيعة والوَهْن:

عَصَبني، وأقلقني، وساءني، وناءني، ونَكَأني، وكَرَبني، وكَرَثني، وبَقَطَني، وأَغْطَمني، وأكَدَّني، وهدَّني، وأصلعني، وضعضعني، وأوهنني، ووهلني، وفَجَعني، وأوجعني، وآلمني، وغالني.

• الإهانة والنكبة:

أهانني، وأشجاني، ودهاني، ونابني، ورابني، ونكبني، وخدعني، ولاعَني وبخعني[1]، وبهرني، وفدحني، وأهلعني، وشقَّني، ومضَّني، وأمضَّني، وكظَّني، ومَرَّحني.

(*) الألفاظ المترادفة/ لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني؛ عني بشرحها محمد محمود الرافعي. ـ ط ٢ ـ. القاهرة: المكتبة المحمودية، ـ١٣٧ هـ، ٤٨ ص.
وقد اختصَّ المترادفات بالتأليف ـ كما يقول المحقق ـ قوم من علماء اللغة، كالهمذاني وصاحب القاموس وغيرهما. فأطال نفر وأملَّ، وأوجز بعضٌ وأخلَّ...
قال: وهذه الرسالة من وضع الرماني، جمع فيها مائة واثنين وأربعين فصلاً، كل معنى منها واسطة تنتثر من جانبيها حبات العقد النظيم. وهو ـ كما يشهد به الذوق الصحيح ـ من منتخل الألفاظ ومتخيرها، ومما هو حريٌّ أن يختاره الأديب حلية منظومة، وقلادة منثورة.
والرماني باحث معتزلي مفسِّر، من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد سنة ٣٨٤ هـ. وله مائة مصنَّف.

(١) بخع نفسه: قتلها غماً.

● **الفقر والضيق:**

أَعْوَز، وأقتر، وأرمل، وتَرِب، وأَنْفَد، وأضاق، وأعدم، وأملق، وغال، واحتاج، وأخفق، وافتقر، واختلَّ وذَرَج، وأكدى، وقَنَع وأزهد، وأمْعَد.

● **حِصن وملجأ:**

حصني، وملجأي، وملاذي، وموئلي، ومَعْقِلي، ومعاذي، وَوَزَري، وكهفي، وعَضُدي، ومُعْتَمدي، وحرزي، ومُعْتَصمي، ومُعْتَصَري، ومُلْتَحدي، ومُحْتَضني، ومآلي، وكَنَفي.

● **الكذب والزُّور:**

الكذب، والمَيْن، والزُّور، والتخرُّص، والإفك، والباطل، والحَظَل، والفَند، والتزيُّد، واللَّفْتُ، والانتحال، والبُهْت.

● **الخوف والوجل:**

الخوف، والوجل، والذُّعر، والرُّعب، والرَّوع، والفزع، والنَّخْب، والخَشية، والرَّهب، والفَرَق، والوجيب، والهيبة، والوَهْل، والرَّجاء، والإشفاق، والحِذْر.

● **أمارة وعلامة:**

أَمارة، وعلامة، ودلائل، وسِمات، وشواهد، وبراهين، ومخايل، وآثار، وحُججَ، ومنارٌ، وأشراط، ونُدوب.

● **لمَعَ وبَرَق:**

لَمَعَ، وبَرَق، وتألَّق، وبضَّ، وتوهَّج، وسَطَع، وزهر، ولاح، ولمح، وأومض، وأضاء، وأنار، وأشرق، وتلألأ.

● **الأصل والعنصر:**

الأصل، والعنصر، والمَحْتِد، والمَغْرِس، والنِّصاب، والأُرومة،

والنَّجْر، والنِّجار، والسِّنْح، والضئضئي، والجِذْم، والعِيص، والتُّوس، والجَرْثومة.

● **السكينة والوقار:**

التثبت، والتُّؤَدة، والسكينة، والسَّمْت، والوقار، والهدوء، والرَّكانة، والرزانة، والرفق، والهيبة، والإطراق.

● **حوادث الدهر وصُروفه:**

حوادث الدهر، وصُروفه، وخُطوبه، وطوارقه، ومُلمَّاته، ونُوَبه، ونوازله، وبوائقه، وكلب الزمان، وحوائجه، ونوائبه، ونَوْباته، وسطواته، وعُدَاؤه، وتاراته، وأطواره، وأفاويقه، وتداوله، ومرارته، ودُوله، وفجائعه، وآفاته، وآياته، ومِحَنه، ومصائبه.

● **الاكتراث:**

لم أحفلْ له، ولم أُبال به، ولم أعبأ به، ولم أكترث له.

● **الغرور والخداع:**

استفزَّه، واستغواه، وأغواه، وفَتَنه، واستزلَّه، وغرَّه، واستهواه، ورشاه، وخدعه، وشَغَبه.

● **الغضب والحَنق:**

غَضِب، وحَرَد، وتلظَّى، واغتاظ، وترغَّم، واستشاط، وتضرَّم، وحَنِق، وأَسِف، ونَقِم، وسَخَطَ، ووجد، وأحفظ، وأضمر.

● **متفرِّق ومنثور:**

متفرِّق، ومتشذِّب، ومنثور، ومُنْبَث، ومُنْتَقِض.

● **لاقيت وعانيت:**

لاقيتُ، وكابدتُ، وقاسيتُ، وعانيتُ، وعالجتُ ومارستُ.

البصائر والذخائر(*)
لأبي حيان التوحيدي

● اللهم إني أسألك جِدّاً مقروناً بالتوفيق، وعلماً بريئاً من

(*) البصائر والذخائر/ لأبي حيان التوحيدي؛ حققه وعلق عليه أحمد أمين، السيد أحمد صقر - القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٣ هـ، ٣٠٣ ص.

يقول المؤلف مثنياً على كتابه: «ستشرف على رياض الأدب، وقرائح العقول: من لفظ مصون، وكلام شريف، ونثر مقبول، ونظم لطيف، ومثل سيّار، وبلاغة مختارة، وخطبة محبَّرة، وأدب حلو، ومسألة دقيقة، وجواب حاضر، ومعارضة واقعة، ودليل صائب، وموعظة حسنة، وحجة بليغة، وفِقْرة مكنونة، ولمعة ثاقبة، ونصيحة مُنْتَخلة، وإقناع مؤنس، ونادرة مُلهية، وعقل ملقَّح، وقولٍ منقَّح، وهزلٍ شِيْبَ بجدٍّ، وجِدٍّ عُجن بهزل، ورأي استنُبط بعناية، وأمر بُيِّت بليل، وسرٍّ كُتِمَ عن الدهر، وحجة استخلصت من أثناء الشبهة، وشبهة أنشبت من فرط جهالة، وبلادةِ طباع رُويت بلسان عَيٍّ، ولفظ مرذول عن صدر حَرِج (أي ضيق)، وفؤاد عبام (أي عي ثقيل)».

والمؤلف فيلسوف معروف، ومتصوف وأديب (ت ٤٠٠ هـ). ذكر ابن الجوزي أنه كان زنديقاً، وأنه كان شراً من ابن الراوندي والمعري، لأنهما صرَّحا ولم يصرِّح. وفي بغية الوعاة أنه أحرق كتبه عندما رأى أنها لم تنفعه. وكان فقيراً جداً. ووافق الذهبي ابن الجوزي في سير أعلام النبلاء (١٧/ ١١٩) ما ألصق به من تهم. بينما دافع السبكي عن ابن حيان في طبقات الشافعية (٥/ ٢٨٨) وقال: «لم يثبت عندي إلى الآن من حال أبي حيان ما يوجب الوقيعة فيه، ووقفت على كثير من كلامه، فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوي النفس، مزدرياً بأهل عصره. ولا يوجب هذا القدر أن يُنال منه هذا النيل. وسئل الإمام الوالد رحمه الله عنه، فأجاب بقريب مما أقول».

وأورد الإمام الذهبي قول ابن النجار: «له المصنفات الحسنة كالبصائر وغيرها... وكان فقيراً صابراً متديناً، صحيح العقيدة». ولم يعلق على كلامه!

قلت: وقد يكون إحراقه لكتبه ندماً وإقلاعاً عما ورد فيها، ولم تصلنا كثير من كتبه، لأنها لم تنسخ.. والله أعلم. =

الجهل، وعملاً عرياً من الخَتْلِ[1]، وقولاً موشحاً بالصواب، وحالاً دائرة مع الحق، وفطنةَ عقَلٍ مبصرةً في سلامة صدر، وراحةَ جسم راجعةً إلى رَوْحِ بال، وسكونِ نفس موصولاً بثبات يقين، وصحةَ حُجَّةٍ بعيدةً من مرض شبهة، حتى تكون غايتي في هذه الدار مقصودةً بالأمثل، وعاقبتي محمودة عندك بالأفضل فالأفضل، من حياةٍ طيبةٍ أنت الواعدُ بها ووعدُك الحق، ونعيمٍ دائم أنتَ المبلِّغ إليه.

اللهم فلا تخيِّبْ رجاءً هو منوطٌ بك، ولا تُصْفِرْ كفّاً هي ممدودة إليك، ولا تُذِلَّ نفساً هي عزيزةٌ بمعرفتك، ولا تسلب عقلاً هو مستضيء بنور هدايتك، ولا تُقْذِ عيناً فتَّحْتَها بنعتمك، ولا تُخرس لساناً عوَّدته الثناء عليك.

وكما كنتَ أولاً بالتفضُّل فكن آخِراً بالإحسان. الناصيةُ بيدك، والوجه عانٍ[2] لك، والخير متوقَّع منك، والمصير على كل حال إليك.

ألبسني في هذه الحياة البائدة ثوب العصمة، وحُلِّني في تلك الدار الباقية بزينة الأمن، وافْطِمْ نفسي عن طلب العاجلة الزائلة، وأَجْرِني على العادة الفاضلة، ولا تجعلني ممن سها عن باطن ما لكَ عليه بظاهر ما لك عنده؛ فالشقي من لم تأخذه بيده، ولم تؤمِّنه من غده. والسيدُ من آويته إلى كَنَفِ نعمتك، ونقلتَه حميداً إلى منازل رحمتك غير مُناقَشٍ له في الحساب، ولا سائق له إلى العذاب، فإنك على ذلك قدير.

= وعلى كل حال، فإن هذه منتخبات من كتابه «البصائر والذخائر» مما يوافق منهج الكتاب في أدب إسلامي.. وهي مما نقله من آخرين، وليس له فيها كلام.. والحكمة ضالة المؤمن...

(١) الختل: الخداع.

(٢) أي خاضع.

● قال الأصمعي: سمعتُ أعرابية تقول: إلهي، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وأوحشه على من لم تكن أنيسه.

● قال المدائني: قرأت على قبر بدمشق: نعم المسكنُ لمن أحسن.

● قال معاوية لصعصعة بن صُوحان: صف لي الناس.

فقال: خلق الله الناس أطواراً: فطائفة للعبادة، وطائفة للسياسة، وطائفة للسُنَّة والفقه، وطائفة للبأس والنجدة، ورِجْرِجةٌ بين ذلك، يكدرون الماء، ويُغلون السعر!

● الخَضْم: أكل الشيء الناعم، والقَضْم: أكل الشيء اليابس. وكأن الخضم في الرخاء، والقضم في الشدة.

● قال محمد بن سلاَّم: ضجر أعرابي من امرأته فقال:

رُزقتُ عجوزاً قد مضى من شبابها ... زمانٌ فما فيها لذي اللُّبس مَلْبَسُ
ترى نفسَها زَيْناً ولست بزينةٍ ... إذا ردَّ فيها طَرْفَه المتأنِّسُ
لها ركبتا عَنْزٍ وساقا نعامة ... وكاهلِ حرباءٍ بدا يتشمَّسُ
وعينٌ كعين الضبِّ في صُمِّ تَلْعةٍ ... ووجه لها مثل الصّلاية أملسُ

● قال القاسم بن الحسن: كان لبعض الظرفاء جاريتان مغنيتان، إحداهما حاذقة، والأخرى متخلِّفة. فكان إذا قعد معهما وغنَّت الحاذقة خرق قميصه، وإذا غنَّتِ الأخرى قعد يخيطه!

- عاد الخليلُ بن أحمد الفراهيدي بعضَ تلامذته، فقال له تلميذه: إن زرتنا فبفضلك، وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومزوراً!

● يقال: ليس أوفى من قُمْريَّة[1]، فإنه إذا مات ذكرها لم تقرب ذكراً آخر بعده، ولا تزال تنوح عليه إلى أن تموت!

---

(١) ضرب من الحمام.

● قال أعرابي: هلاك الوالي يكون في صاحبٍ يُحسنُ القول ولا يُحسن العمل.

● قيل لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كيف صرت تقتل الأبطال؟

قال: لأني كنتُ ألقى الرجلَ فيقدِّر أني أقتله، وأقدِّر أني أقتله، فأكون أنا ونفسُه عليه!

● قال الواقدي: رأيت بقالاً بالمدينة قد أشعل سراجاً بالنهار، ووضعه بين يديه. فقلت له: ما هذا يا هذا؟

فقال: أرى الناس يبيعون ويشترون حولي ولا يدنو مني أحد، فقلت: عسى ليس يراني إنسان، فأسرجت!

● قال الماهاني: دعاني ابن الكلبي يوماً، فأجلسني في بيت خَيْش على فرش ميساني، وأطعمني فحلية، ثم قال في حديثه: لما مات أبي ندم أمير المؤمنين أشد ندامة في الدنيا. قلت: أكان نديمَه؟ قال: لا. قلت: أفجليسَه؟ قال: لا. قلت: أمات حتف أنفه؟ قال: نعم. قلت: فما سبب ندامة أمير المؤمنين؟ قال: كذا أخبرني سعيد غلامنا!

● دعا الحجاج رجلاً ليوجِّهه إلى محاربة عدوه، فقال له: عندك خير؟ فقال: لا، ولكن عندي شر! قال: هو الذي أردتُك له، امضِ لوجهك!

● من كَرُمَتْ نفسُه عليه، هانت الدنيا في عينيه.

● قال يحيى بن معاذ الرازي (ت ٢٥٨ هـ): إذا أحبَّ الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه، وإن سَخِطَ نفاه وأقصاه.

● من مليح قول أبي يزيد البسطامي (ت ٢٦١ هـ) أنه قال

لبعض خدمه من تلامذته وهو يعظه ويرقِّق الكلام له، وذاك التلميذ في غلوائه وعدوائه، فقال له أبو يزيد: يا هذا، والله إنك إذا وافقتني كنتَ ثقيلاً علي، فكيف إذا خالفتني؟!

● قال أعرابي: الأمثال مصابيح الأقوال.

● قال معاوية رضي الله عنه: مهما كان في المَلِك فإنه لا ينبغي أن يكون فيه خمس خصال:

الكذب، فإنه إن وعد خيراً لم يُرْجَ، أو وعد شراً لم يُخَفْ.

والبخل، فإنه إذا بخل لم ينصحه أحد، ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة.

والحسد، فإنه إذا حسد لم يُشَرِّف أحداً، ولا يصلحُ الناسُ إلا على أشرافهم.

ولا ينبغي أن يكون حديداً، فإنه إذا كان حديداً مع القدرة هلكت الرعية.

والجبن، فإنه إذا جَبُنَ اجترأ عليه عدوُّه، وضاعت ثُغوره.

● سأل أعرابيٌ رجلاً حاجةً، فمنعه، فقال: الحمد لله الذي أفقرني من معروفك، ولم يُغْنِكَ من شكري.

● وقف رجلٌ حسن الشارة، حلوُ الإشارة على المبرِّد، فسأله عن مسألة، فأحال ولحن وتسكَّع في الخطأ، فقال له المبرد: يا هذا، أنْصِفْنا من نفسك، إما أن تلبس على قدر كلامك، وإما أن تتكلم على قدر لباسك.

فعجب الناس من بديهته في هذا الحكمة الجامعة للزجر، الباعثة على القبول، المثيرة للأئمة.

● لما انصرف عبد الله بن جعفر من الحج، وقفت عليه امرأة من غطفان ومعها دجاجة مشوية، فقالت: بأبي وأمي إن دجاجتي هذه

كانت مؤنستي في الخلا، ومزّينتي في المَلاَ، ومعينتي على الدهر، وإني شكرتُ لها ذلك، فحلفتُ أن أدفنها في أكرم بقعة، وما وجدت إلا بطنك!

فضحك عبد الله، وأمر بأخذها وقال لها: ايتني المدينة. فأتته، فأمر لها بعشرين ألف درهم، وعشرة أحمال دقيقاً وسويقاً وزيتاً، فلما رأت ذلك قالت: لا تسرف، إن الله لا يحب المسرفين!

● من جود عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه أرعى رجلاً من العرب إبلاً له، فأسمنها، وردَّها كأنها قصور، أو عذارى حور! فقال: كيف تراها؟

فقال: تسرُّ الناظر، وتُخصِب الزائر.

قال: فإنها لك، ولك أجرك!

فبكى الأعرابي، فقال له: ما يبكيك؟

قال: أبكي ضَنّاً بهذا الوجه أن يُعَفَّر في التراب!

فقال: لهذا القول أحسن من قصيدة!

● قيل لراهب: متى عيدكم؟

قال: كل يوم لا نعصي الله فيه فهو عيد.

● قيل للنظّام في علّته: ما تشتهي؟

قال: أن أشتهي!

● قيل لديوجانس ـ وكان يونانياً ـ: أملك الروم أفضل أم ملك الفرس؟

قال: من كان منهما أملك لهواه!

● قيل لسعيد بن المسيب: لِمَ صارت قريش أضعف العرب شعراً؟

قال: لأن مكان رسول الله ﷺ قطع متن الشعر عنها.

● قال أعرابي في وصف رجل:

هو بحرٌ يَزْخَر عند العطاء، وأسد يزأر عند اللقاء.

• ولد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لصلبه: الحسن، والحسين، ومحسن، وزينب، ورقية، وأم كلثوم من فاطمة.

وولد له من خولة بنت جعفر بن قيس الحفنية: محمد.

ومن ليلى بنت مسعود الدارمية: عُبيد الله أبو بكر.

ومن أم البنين بنت حرام الكلابية: العباس، وعثمان، وعبد الله، ومحمد الأوسط.

ومن الصهباء التغلبية: عمرو، وأسماء، ويحيى، وعون.

ومن أمّ ولد: محمد الأصغر.

ومن أمامة بنت العاص: محمد الثالث.

• قال معاوية رضي الله عنه: العيال أَرَضة المال.

ونظر إلى يزيد وهو يضرب غلاماً له فقال: لا تفسد أدبك بتأديبه!

• قال بعض الأدباء: أفتكُ الناس من إذا لَزِمَهُ الحقُّ ثَقُلَ عليه، وإذا سَنَحَ له الباطل أسرع إليه!

• قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية - وكان من صالحي قريش - لآخر: أترضى بما أنت فيه؟ قال: لا. قال: فأجمعتَ أن تُقلع؟ قال: لا. قال: فلك دارٌ غير هذه تعمل فيها؟ قال: لا. قال: أفتأمن أن يأتيك الموتُ الساعة؟ قال: لا. قال: فهل رأيت عاملاً رضي بهذا؟

• قيل لراهب: قد أطلت سجن لسانك؟

فقال: إنه غير مأمون إذا أُطلق!

• يقال: كل شيء إذا أكل حرّك فكّه الأسفل إلا التمساح، فإنه لا يحرّك إلا فكّه الأعلى!

الظَّرَف والظُّرَفاء(*)
للوشّاء

● بلغَ أميرَ بغداد في عهد المتوكل، محمد بن عبد الله بن طاهر، أن قوماً يحسدونه... فقال:

إن يحسدوني فإني غير لائِمهم قبلي من الناس أهلُ الفضل قد حُسِدوا

(*) الظَّرَف والظُّرفاء/ تأليف أبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء؛ تحقيق ودراسة فهمي سعد ـ بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ، ٤٠٧ ص.

يقول المؤلف: «كتابنا هذا روضة تتنَزه فيها العقول، وعقودُ جوهرٍ زيَّنتها الفصول، إذ لم نُخلِه من أخبار طريفة، وأشعار ظريفة، وأشياء نمت إلينا من زِي ظرفاء الناس في الطعام، والشراب، والعطر، واللباس. ومذهبهم فيما اجتنبوه من ذميم الأفعال، واستحسنوه من جميل الشِّيم والأخلاق». وقال في موضع آخر: «ونحن نستعين الله، ونودع كتابنا هذا جملة من حدود الأدب والمروءة والظرف، ونجعل ذلك أبواباً مختصرة، وفصولاً محبَّرة...». قلت: ليس كما قال المؤلف من أنها في حدود الأدب والمروءة، إلا قليلها، وقد اخترت منه المناسب هنا، ولا أنصح القارىء باقتنائه!

ويقول في باب «سنن الظرف»: أعلم أن عماد الظَّرف ـ عند الظرفاء وأهل المعرفة والأدباء ـ حفظُ الجوار، والوفاء بالذمار، والأنفة من العار، وطلب السلامة من الأوزار. ولن يكون الظريف ظريفاً حتى تجتمع فيه أربع خصال: الفصاحة، والبلاغة، والعفَّة، والنزاهة.

قال: وسألت بعض الظرفاء عن الظرف فقال: التودد إلى الإخوان، وكف الأذى عن الجيران.

وقال الأصمعي وابن الأعرابي: لا يكون الظُّرف إلا في اللسان. يقال: فلان ظريف، أي هو بليغ، جيد المنطق.

وقال بعض المشيخة: الظريف الذي قد تأدب، وأخذ من كل العلوم، فصار وعاءً لها، فهو ظرف! =

فدامَ لي ولهم ما بي وما بهمُ ... ومات أكثرهم غيظاً بما يجدُ

● قال أبو العتاهية:

ولا خيرَ في حشو الكلا ... م إذا اهتديتَ إلى عيونه
والصمتُ أجملُ بالفتىٰ ... من منطقٍ في غيرِ حينه

● تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات، خرجن كلهن بمعنى:

فقال كسرى: أنا على قولِ ما لم أقل أقدرُ مني على ردِّ ما قلت.

وقال قيصر: لا أندمُ على ما لم أقل، فإنما أندم على ما قلت.

وقال ملك الصين: إذا تكلمتُ بالكلمة ملكتني، ولم أملكها.

وقال ملك الهند: عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن حُكيت عنه ضرَّته، وإن لم تُذكر لم تنفعه!

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أكثر من شيء عُرف به، ومن مازحَ استُخفَّ به، ومن كثر ضحكه ذهبت هيبتُه.

● وقال رضي الله عنه: لقاء الإخوان جلاءُ الأحزان.

● كان يقال: أول المروءة طلاقة الوجه، والثانية التودُّد إلى الناس، والثالثة قضاء الحوائج.

● قال ابن حموش القيسي:

عليك بإقلال الزيارة إنها ... تكون إذا دامتْ إلى الهَجْر مَسْلَكا
فإني رأيتُ القَطْرَ يُسْأَمُ دائباً ... ويُسْأَلُ بالأيدي إذا هو أمسكا

● وقال أبو تمام:

= والكتاب صدر بعنوان آخر هو «الموشّى». ومؤلفه توفي في القرن الرابع الهجري (٣٢٥ هـ). وكان عالماً بالأدب. من أهل بغداد. وكان يحترف التعليم. من كتبه «زهرة الرياض» في الأدب، في عشر مجلدات، و «الموشح»، و «الحنين إلى الأوطان»... وغيرها.

وطولُ مقام المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ لديباجَتَيْهِ، فاغتربْ تتجدَّد
فإني رأيتُ الشمس زيدتْ محبَّةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

● قال عبد الله بن عمر: ما حمل رجلٌ حِمْلاً أثقل من المروءة. فقال له أصحابه: صف لنا ذلك.

فقال: ما له عندي حدٌّ أعرِّفه، إلا أني ما استحييتُ من شيء قطُّ علانيةً إلا استحييتُ منه سراً!

● وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مروءة الرجل حيث يضع نفسه!

● يروى عن عبد الله بن بكر السهمي، أن عبد الله بن مروان دخل على معاوية، وعنده عمرو بن العاص، فجلس ملياً، ثم انصرف.

فقال معاوية: ما أكمل مروءة هذا الفتى وأَخْلَقَه أن يبلغ!

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، إن هذا أخذ بخلائق أربع، وترك ثلاثاً.

أخذ بأحسن الحديث إذا حدَّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤونة إذا خُولف، وبأحسن البِشْر إذا لقي.

وترك مزاح مَنْ لا يُوْثَقَ بعقله ولا دينه، وترك مخالفة لئام الناس، وترك من الكلام ما يُعْتَذَرُ منه.

● أنشد بعض الأدباء:

لا يكذبُ المرءُ إلا من مهانته أو عادة السوءِ أو قلة الأدب
لَجيفةُ الكلب عندي خيرُ رائحةٍ من كذبةِ المرء في جِدٍّ وفي لعب

ويقال: لا تستعن بكذَّاب، فإنه يقرِّب لك البعيد، ويباعدُ لك القريب.

● وأنشد بعضهم:

إذا قلتَ في شيء نعم فأتمَّهُ فإن نعم دَيْنٌ على الحُرِّ واجبُ

وإلا فقل لا واسترح وأَرِحْ بها		لكي لا يقول الناسُ إنك كاذبُ!

● وكان يقال: المعروف يحتاج إلى ثلاث: تعجيله، وكتمانه، وإتمامه.

● وقال بعض الحكماء: اخْفِ معروفك بإماتة ذكره، وعظّمه بتصغيرك له.

● وقال أبو يعقوب الخريمي:

زاد معروفَكَ عندي عِظَماً		أنه عندك مستورٌ حقيرُ
وتناساه كأنْ لم تأتِهِ		وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

● ومن قول كثيِّر عَزَّة في الحث على كتمان السر:

كريمٌ يميتُ السرَّ حتى كأنه		إذا استنطقوه على حديثك، جاهلُه
رعىٰ سرَّكم في مُضمَر القلب والحشا		شفيقٌ عليكم، لا تُخاف غوائلُه

● اعلم أن الهوى عند أهل البادية هو الهوان الصُراح، والبلاء المتاح، لأنه يهينُ الكريم، ويُذلُّ العزيز، ويُدَلِّهُ العاقل، ويحطُّ منزلة الشريف.

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت: الهوى هو الهوان، وإنما غُلِط باسمه، واشتُقَّ من طبعه، ولَنْ يعرف ما أقول إلا من أبكته المنازل والطلول، وأنشأت تقول:

إن الهوى لهو الهوان بعينه		ما ذاق طعم الذُّلِّ من لم يعشقِ

● كان المخبَّل السعدي ـ من الشعراء المخضرمين ـ يعشق امرأة من قومه، فأتلف عليها كل ما يملكه، حتى صار يبيع البعر. فأتاها يوماً، فزجرته وطردته، فانصرف، وأنشأ يقول:

إذا قلَّ مالُ المرء قلَّ صديقُه		وأَوْمَتْ إليه بالعيوب الأصابعُ

● بلغنا أن ببعض بلاد الهند قوماً لا يعشقون، ويرونه ضرباً من السحر والجنون، وذلك لمن فيهم الفلسفة، ولهم الحكمة والتجربة.

وزعموا أن سبب العشق سببُ النَّوى، وفيه المذلَّة والعناء، ومنه يكون السَّقم والضَّنى. وأكثر من في النساء وفاءً أسرعُهنَّ خيانة وجفاء، وأعطاهن حَلْفاً وأيماناً أسرعهن خبثاً وسلواناً!

● مما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم:

ـ التقلُّل خيرٌ من التذلُّل.

ـ من قَدَّم هواه دام أساه.

ـ إذا صحَّت القلوب اغتُفرت الذنوب.

ـ حَنَّ فأنَّ.

ـ عَفَّ فكفَّ.

العنوان في الاحتراز من مكائد النسوان(*)
لابن البتنوني

● حكى الأصمعي أن بعض العُبَّاد رأى امرأة من أهل البصرة، فأعجبته، فتعلق قلبه بها ويحبُّها. فأرسل إليها ليخطبها، فأبت، وقالت له: «إن أردتَ مني غير ذلك فعلتُ لك ورضيت».

فأرسل إليها يقول: «يا سبحان الله أيتها المرأة! أدعوك إلى الأمر الصحيح الحلال الذي لا فيه عيب ولا إثم، وتدعينني إلى ما لا يصلح لي ولك»؟

فأرسلت إليه تقول: قد أخبرتُك بالذي عندي وما أرتضيه. فإن

(*) العنوان في الاحتراز من مكائد النسوان/ تأليف علي بن عمر الأبوصيري، ابن البتنوني؛ تحقيق محمد ألتونجي ـ ط ٢. ـ بيروت: دار أمواج: توزيع مكتبة بيسان، ١٤٠٩ هـ، ٢٧١ ص.

يضم الكتاب عشرات من القصص الطريفة التي حاول مؤلفها أن يثبت فيها دهاء المرأة وكيدها، والوسائل التي اتبعتها لإيقاع الرجل بأحبلها، أو للوصول به إلى غايتها.. يقول في مقدمته: «سألني بعض الإخوان في الله تعالى أن أجمع له كتاباً يشتمل على شيء من المواعظ المختصة بالنساء الجاهلات، وغيرهن لما سبق في علم من المقدورات. وأكثر ما وقع التنبيه عليه في هذ المختصر على النساء الجاهلات عن الأمور الشرعيات، اللاتي قد أعرض عما يجب عليهن من الحقوق الزوجيات، والأحكام الدينيات، وصرف هممهن إلى الشهوات الفانيات، والأحوال الموبقات، وأبذلن جهدهن ما هو سبب لهلاكهن... قاتلهن الله ما أكثر جهلهن بأمور دينهن، وما أعظم رغبتهن في حظوظ نفوسهن، وما أشد إعراضهن عما فيه صلاحهن..».

والمؤلف صوفي مصري حنفي المذهب. ونسبته إلى «بتنون» من بلاد المنوفية بمصر. وفاته بعد ٩٠٠ هـ.

أردتَ فتقَّدم، وإن كرهتَ فتأخر. فأنشد عند ذلك بقول:

أأسألها الحلال وتدعو قلبي ... إلى ما لا يريد من الحرام؟
كداعي آل فرعون إليه ... وهم يدعوه للفعل الحرام
فظلَّ منعَّماً في الخلد يسعى ... وظلُّوا في الجحيم وفي اغتمام

قال: فلما علمت المحبوبة أنه امتنع منها ومما تدعوه من الفاحشة بها، أرسلت إليه تقول: قد رضيتُ لك فيما تقول، وأنا بين يديك على الذي تحب!

فكتب إليها: هيهات هيهات، لا حاجة لي فيمن أدعوه إلى الطاعة، وهو يدعوني إلى المعصية. وأنشد يقول:

لا خير فيمن لا يراقبُ ربَّه ... عند الهوى، ويخافُه أحيانا
إن الذي يبغي الهوى ويريدُه ... كمؤاخي شيطانُه شيطانا
حجبَ الهوى بابَ التُّقى فأخو التُّقى ... عَفُّ الخَليفة زائداً إيماناً

● قال بعضهم:

إن النساء هم الخيول بعينهم ... فاختر لنفسك ما تحبُّ وتعشقا
وخذ الأصيلة إن بُليتَ وكن بها ... بطلاً شجاعاً فارساً لا تُلتقى
واحفظ زمام عِنانها من غدرها ... واحذر تصدِّق أنها لك تعشقا
واسمع كلامي إنني ذو خلطة ... درتُ البلاد فقلما ذي تُلتقى

● رُوي أن أيوب عليه السلام قال: إلهي ارزقني خيرَ الدنيا والآخرة.

فأوحىٰ الله إليه: إني أعطيتك ذلك وأنت لا تعلم، إني أكرمتك بالمرأة الصالحة رحمةً، ومن رُزق ذلك فقد رُزق خيري الدنيا والآخرة.

● ذكر الإمام الغزالي عن بعض العرب أنه قال: لا تنكحوا من النساء ستاً: لا أنَّانة، ولا منَّانة، ولا حدَّاقة، ولا شدَّاقة، ولا برَّاقة.

ثم قال:

فأما الأنّانة فهي التي تكثر الأنين والبكاء والتمرُّض، وتعصب رأسها مخافة الجماع، فنكاحها لا خير فيه.

وأما المنّانة فهي التي تمنُّ على زوجها فتقول له: إنما أنت تأكل وتكتسي من مالي، فنكاحها لا خير فيه.

وأما الحنّانة فهي التي تحنُّ على زوج آخر، فنكاحها أيضاً لا خير فيه.

وأما الحدّاقة، فهي التي ترمي بحدقتها إلى كل شيء: من مأكل وملبس، وتكلّف الزوج إلى شرائه.

وأما الشدّاقة فهي المتشدِّقة الكثيرة الكلام.

وأما البرّاقة، فهي التي تصقل وجهها حتى يبرق، وتحمّره حتى يتورّد، لعلمها أنها إن لم تفعل عابها كلُّ من يراها. وقيل: هي التي تستقلُّ نصيبها من المأكل وغيره.

الفاضل في صفة الأدب الكامل(*)
للوشاء

● عندما ولي الحجاج العراق، وخطب خطبته المشهورة في جامع الكوفة، أمر الكاتب أن يقرأ كتاب الخليفة عبد الملك بن مروان بتوليته، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم». فلم يردَّ أحد السلام. فقال الحجاج: اسكت يا غلام. يا أهل القرية، سلَّمَ عليكم أمير المؤمنين فلم تردُّوا عليه السلام؟ أما والله لئن بقيتُ لكم لأؤدبنكم سوىٰ أدب ابن أديبة[1] أو لتستقيمُنَّ لي، أو لأجعل لكل امرىء منكم شغلاً في نفسه. يا غلام. اقرأ كتاب أمير المؤمنين.

(*) الفاضل في صفة الأدب الكامل/ للوشاء (ت ٣٢٥ هـ)؛ تحقيق يوسف يعقوب مسكوني؛ أشرف على [تحقيق] الكتاب ووضع فهارسه شاكر علي التكريتي - بغداد: مطبعة شفيق، ١٣٩٢ هـ، ٢٣٩ ص.
يتوضح موضوع الكتاب من خلال ما قاله المؤلف في مقدمته: «.... فصنفت لك كتاباً، في البلاغة والإيجاز والبراعة، ضمَّنتُه موجزات الخطب، ومنتخب بلاغات العرب، مما حُفِظَ من مُلَح كلامها، ومختصر ألفاظها، وموجز خطبها، وبراعة أدبها، ونادر خطابها، ومُسْرَع جوابها، ومعجَب قرائحها، ومعجز بدائهها؛ إلى شيء من بلاغة البلغاء، وفصاحة الفصحاء، وجواب الأدباء، وإيجاز الخطباء، ومحاورة الخلفاء، وتهادي الظرفاء، ومكاتبة الأمراء، ونوادر الشعراء، وحصافة ذوي الألباب، وثقافة أذهان الكُتَّاب، ورصافة عقول النساء، وتكامل أدب الإماء. ونظمته بما انتظم من الحكم، المحفوظة عن حكماء العجم، ووصايا المحتضرين، وحكم المجانين..».
وسبق التعريف بالمؤلف عند عرض كتابه «الظرف والظرفاء».

(١) رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج.

فأعاد، فلما قال: السلام عليكم، لم يبق أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام.

ثم نزل، فدخل الإمارة.

● لما صعد أبو العباس السفاح المنبر ـ وهو أول خليفة عباسي ـ قال: الحمد لله. ثم أُرْتِج عليه. فنزل، ثم رقي المنبر فقال: أيها الناس، إنما اللسان بِضْعَةٌ من الإنسان، يَكَلُّ بكَلالِهِ إذا كَلَّ، وينفسح بانفساحه إذا انفسح. نحن امراءُ الكلام، ومنا تفرَّعت فروعُه، وعلينا تهدَّلت غصونُه. ونزل.

فبلغ ذلك أبا جعفر المنصور، فقال: لله هو، لو خطب بمثل ما اعتذر لكان أخطب العرب!

● قَدِمَ وفد الحجاز من قريش على هشام بن عبد الملك، وكان شأن الكُتَّاب إذا قدمت الوفود أن يحضروا لاستماع بلاغة خطبائهم.. فقام محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ـ وكان أعظم الوفود قدراً وأكبرهم سناً ـ فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن خطباء قريش قد قالت فيك فأكثرت وأقلَّت وأطنبت، فوالله ما بلغ قائلهم قَدْرَك، ولا أحصى خطيبُهم فضلك، فإن أذنتَ لي في القول قلت.

قال: قل وأوجز.

قال: تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزينك بالتقوى وجمَّع لك خيري الآخرة والأولى. ولي حوائج أفأذكرها؟

قال: هاتها.

قال: كبرت سني، ونال الدهر مني، فإن رأى أمير المؤمنين أن يَجْبُر كَسْري وينفي فقري فعل.

فقال هشام: وما الذي يَجْبُر كسرك وينفي فقرك؟

قال: ألف دنيار، وألف دينار، وألف دينار.

فأطرق هشام طويلاً ثم قال: هيهات يا ابن أبي الجهم، رُمْتَ مراماً صعباً. بيت المال لا يحتمل ما سألت.

قال: أما والله إن الأمر لواحد، ولكن الله آثرك بمجلسك، فإن تعطنا فحقَّنا أديت، وإن تمنعْ نسألِ الذي بيده ما حَوَيْت. يا أمير المؤمنين، إن الله تبارك وتعالى جعل الإعطاء محبة والمنع مبغضة. ووالله لأن أَحَبَّكَ أحبُّ إليَّ من أن أَبْغَضَك.

قال: فألف دينار لماذا؟

قال: أقضي بها ديناً حَمَّ قضاؤه، وفدحني حِمْلُه، وأضرَّني أهله.

قال: فلا بأس، تُنَفِّس كربةً وتؤدي أمانة. وألف دينار لماذا؟

قال: أزوج بها من بلغ من وُلْدي.

قال: نعم المسلك سلكته، غضضتَ بصراً، وأعقبتَ ذِكْراً، ورَجَوْتَ نسلاً. وألف دينار لماذا؟

قال: أشتري بها أرضاً يعيش بها ولدي، واستعين بها على مَنْ يَفْضُل، وتكون ذخراً لمن بعدي.

قال: فإنا قد أمرنا بما سألت.

قال: فالمحمود الله على ذلك.

فأتبعه هشام نظره وقال: إذا كان القرشي فليكن مثل هذا. ما رأيت رجلاً أصبر في مقال، ولا أبلغ في ثناء منه!

ثم قال: أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل، ونكره الإسرف، وما نعطي تبذيراً، ولا نمنع تقتيراً، وما نحن إلا خُزَّان الله في بلاده، وأمناؤه على عباده. فإذا أذن أعطينا، وإذا امتنع أبينا. ولو كان كل قائل يصدق. وكل سائل يستحق، ما خَيَّبْنا قائلاً، ولا رددنا سائلاً،

فنسألُ الذي بيده ما استحفَظَنا أن يُجْرِيَه على أيدينا، فإنه يفتح الرزق لمن يشاء ويَقْدِر، إنه بعباده خبير بصير.

● كان الحجاج إذ قُدِّم إليه رجلٌ من الأسارى الذي خرجوا مع ابن الأشعث[1] يقول له:

أكفرتَ بعد إيمانك وضللتَ بعد هدايتك؟

فإن قال: نعم، خلَّى سبيله، وإن قال: لا، ضرب عنقه.

فقُدِّم إليه أعرابي منهم، فقال له: ويحك، أكفرت وضللت؟

فقال: لا، ما كفرتُ ولا ضللت.

قال: فغضب وقال: يا حَرَسَيَّ اضربا عنقه.

قال: أيها الأمير، أتضرب عنقي على أن قلت ما يعلمُ الله؟

قال: أوَ ما كفرتَ؟

قال: فلمن صمنا رمضاننا؟ ولمن صلينا صلاتنا هذه. لكني مُنِيتُ وخُدعت وفارقتُ ما كان يجب علي لزومه.

قال: خلِّيا عنه!

● لما دخل عبيد بن شُرْية على معاوية بن أبي سفيان قال له: يا عبيد من أين أقبلت؟ قال: من خلفي! قال: فأين تريد؟ قال: أمامي! قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد! قال: كم أتى عليك؟ قال: ليلٌ ونهار!

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي (ت ٨٥ هـ). كان ممن طالب بخلع الحجاج عن العراق. ثم خلع عبد الملك بن مروان. ونشبت بينه وبين جيوش عبد الملك والحجاج معارك كثيرة، إلى أن لجأ ابن الأشعث إلى ملك الترك.. فقتله بطلب من الحجاج.

قال: لم أَرِدْ هذا، إنما أردت: كم أتى عليك من السنين؟ قال: مائتان وعشرون سنة. قال: فما أدركتَ من الناس وما رأيتُ من القرون؟ قال: أُجمل أم أُفصِّل؟ قال: أَجْمِلْ حتى نسألك من التفسير.

قال: أدركتُ الناسَ يقولون: ذهب الناسُ!

• دخل رجل من أهل الكوفة على أبي جعفر المنصور، فتوسَّل إليه، وكلَّمه في مسخوطٍ عليه، فقبل شفاعته، فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي في تقبيل يدك، فإنها أحقُّ يدٍ بتقبيلٍ، لعلوِّها في المكارم وطهرها من المآثم. وإنك يا أمير المؤمنين ليوسفيُّ العفو، قليل التثريب، كثير الصفح عند الذنوب، فمن أرادك يا أمير المؤمنين بسوء فجعله الله حصيدَ سيفك، وطريدَ خوفك.

فأُعجب به أبو جعفر، فقرَّبه وأكرمه.

• وقَّع عمر بن عبد العزيز إلى بعض عمَّاله: كثر شاكوك، وتتابع متظلموك، وقلَّ شاكروك؛ فإما عدلت، وإلا اعتزلت.

• بعث الفضل بن سهل إلى رجل بمالٍ، وكتب إليه: قد بعثتُ إليك، بكذا وكذا، لا أُكثره امتناناً، ولا أعتذر منه تكبُّراً، ولا أقطع بعده رجاءً، ولا أسأل عليه ثناءً.

• حُكي أن أبا جعفر المنصور لمَّا قدم المدينة قال: والله لقد هممت أن أُجَمِّر نخلها[1]، وأغوِّر قُلُبها[2]، وأهدم منازلها، وأستعرض أهلها[3].

فقال له جعفر بن محمد الصادق: يا أمير المؤمنين، إن داود

(١) الجمار شحم النخل، وجمرت النخلة: قطعت جمارها.

(٢) جمع القليب، وهو البئر.

(٣) استعرضهم بالسيف: سلطه عليهم.

عليه السلام أُعطي فشكر، وإن أيوب عليه السلام ابتُلي فصبر، وإن يوسف عليه السلام قَدَر فغفر، فاقْتَدِ بأيهم شئت.

فقال: إن أحداً لا يعلِّمنا العلم ولا يعرِّفنا الحِلْم، وإنما قلت: لهممت. ولم تَرَني فعلت، وإنك لتعلم.

● رُوي أن سلم بن نوفل الدؤلي كان سيد قومه، وأن رجلاً من قومه وثب على ابنه فجرحه، فأتى به سلم، فقال: ما آمَنَك من انتقامي؟ قال: ما سوَّدناك إلا لتكظم الغيظ، وتحتمل جهل الجاهل. قال: فإني قد كظمت غيظي، واحتملتُ جهلك، وعفوت عنك. خلّوا عنه.

فولَّى الرجل وهو يقول:

تسوَّد أقوامٌ وليسوا بسادة ... بل السيدُ المعروف سَلْمُ بنُ نوفلِ

● دخل عقال بن شيبة[1] على هشام بن عبد الملك، فأومأ ليقبِّل يده، فقبضها وقال: مهلاً! لم تفعل هذا العرب إلا هُلوعاً ـ أي جزعاً ـ ولا العجم إلا خضوعاً.

● عزَّى رجلٌ معاوية عن ابنٍ له فقال: بارك الله لك في الفاني، وأجزل لك في الباقي. فظن معاوية أنه غلط.

فقال الأعرابي: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**﴾[2].

● قال الأصمعي: سمعت أعرابياً وقد قَتَلَ قومُه أخاه، وكره أن يقتصَّ منهم، وحملوا إليه الدية فأبى أن يقبلها، ثم قال متمثلاً:

قومي هُمو قتلوا أُمَيْمَ أخي ... فإذا رَمَيْتُ يصيبني سهمي
ولئن عفوتُ لأعفونْ جَلَلاً ... ولئن رَمَيْتُ لأُوهِيَنْ عظمي

● دخل أبو حازم[3] على سليمان بن عبد الملك بعدما

---

(١) وهو من أدباء العرب.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٦.
(٣) هو عالم المدينة وقاضيها وشيخها مسلمة بن دينار المخزومي. ت ١٤٠ هـ.

استُخلف، فقال له: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم؛ فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب!

قال: فأخبرني كيف القدوم على الله عز وجل؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أما المحسن فكالغائب يأتي أهلَه مسروراً، وأما المسيء فكالعبد الآبق[1] يأتي مولاه حزيناً خائفاً.

قال: فأي الأعمال أفضل؟

قال: أداءُ الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال: فأي الدعاء أسمع؟

قال: دعاء الملهوف للمحسن إليه.

قال: فأي الصدقة أزكى؟

قال: جهد المقل، لا منٌّ فيه ولا أذى.

قال: فأي القول أعدى؟

فال: كلمة حق عند من تخاف وترجو.

قال: فأي الناس أعقل؟

قال: من عمل بطاعة الله ودلَّ الناس عليها.

قال: فأي الناس أجهل؟

قال: من باع آخرته بدنيا غيره.

قال: فعظني وأوجز.

---

(١) أي الهارب.

قال: نعم يا أمير المؤمنين، نزِّه ربَّك وعظِّمه أن يراك حيث نهاك، أو يُفْقدك حيثُ أمرك.

فبكى سليمان بكاءً شديداً، فقال رجل من جلسائه: أسأت إلى أمير المؤمنين.

فقال أبو حازم: اسكت، إن الله أخذ ميثاق العلماء لِيبيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه. ثم خرج.

● وحُكي عن ابن شهاب الزهري قال: تكلم رجل عند هشام بن عبد الملك بأربع كلمات، ما سمعتُ بأوجز منهن ولا أبلغ. قال: فقلنا: وما هي؟ قال: قال له:

احفظ عني أربع كلمات فيهنَّ استقامة ملكك وصلاح رعيتك:

- لا تعِدْ عِدَةً لا تفي بإنجازها.

- ولا يغرَّنَّك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً.

- واعلم أن الأعمال جزاء فاحذر العواقب.

- وإن الأمور مبهمات فكن على حذر.

● قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ما الحيلة والنجاة مما نحن فيه؟

قال: يسيرٌ!

قال: وما ذاك؟

قال: لا تأخذ شيئاً إلا بحقِّه، ولا تمنع أحداً من حقِّه!

قال: يا أبا حازم ومن يطيق ذلك؟!

قال: من طلب الجنة وهرب من النار!

قطوف الريحان من زهر الأفنان(*) للجكني

● الأُستاذ: لفظة فارسية عرَّبتها العرب، ومعناها عند الفرس: العالم بالشيء الماهر فيه.

● في مجمع الأمثال أن حرَّاثاً كان يحرث، فأتاه أسد فقال له: ما الذي ذلَّل هذا الثور حتى يطيعك؟ قال: خصيته. قال: وما الخصاء؟ قال: ادنُ مني أُريكه. فدنا الأسد منه منقاداً ليعلم ذلك، فشدَّه وثاقاً وخصاه؛ فقيل: أجرأ من خاصي الأسد.

● «سهم النميري» مَثَلٌ عن الشاعر الهيثم بن الربيع النميري، وهو شاعر مشهور، كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

وكان من خبره أنه لكذبه ادَّعى يوماً أنه رمى ظبياً بسهم، فراغَ الظبيُ عن السهم، فعارضه السهم، ثم راغ فعارضه، فما زال يروغ ويعارضه السهم حتى أصابه!!

(*) . . . قطوف الريحان من زهر الأفنان: شرح حديقة ابن الونان/ بقلم أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني ـ الرياض: توزيع دار روضة الصغير، ١٤١٣ هـ، ٣٤٣ ص.

أصل الكتاب أرجوزة للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الونَّان (ت ١١٨٧ هـ) الشهيرة بحديقة ابن الونان. وقد وضع عليها شرحاً الأديب المغربي أحمد بن خالد الناصري السَّلاوي وأسماه «زهر الأفنان من حديقة ابن الونَّان». واختصر هذا الشرح أحمد بن محمد الأمين الجكني وأسماه «قطوف الريحان. . .» بإشارة من الشيخ محمد بن عبد الله السبيل الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، نظراً لما حوى الكتاب من نفائس في فنه يحتاج طالب العلم إليها. . .

والمختصِر مؤلف معاصر، وهو ابن الشيخ محمد الأمين المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ.

ويحكى أنه قال: إنه رمى ظبية بسهم، ثم تذكر بالظبية حبيبةً له، فعدا خلف السهم حتى أخذه، وقبض على قذذه قبل أن يدرك الظبية. فصار مضرباً للأمثال لدى الشعراء..!

● يحكى أن الحجاج بن يوسف فرَّ منه رجل كان يطلبه، فقيل له: هذا خالُه موجود، أو ذو قرابة منه. فاستدعاه وأراد النكال به، فقال الرجل: علامَ تنكلون بي؟ قال الحجاج: من أجل قريبك فلان. قال الرجل: أوَلو جئتك بشاهدين يشهدان على براءتي من ذلك؟ قال الحجاج: ومن يشهد لك؟ قال: موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام. قال الحجاج: وكيف يشهدان ذلك؟ فتلا الرجل قوله تعالى: **﴿أم لم يُنَبَّأ بما في صحف موسى. وإبراهيم الذي وفَّى. ألَّا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[1]. فضحك الحجاج وقال: قد أُلهم حُجَّته فاتركوه. والله أعلم.

● الشِّطرنج ـ بكسر الشين ـ وفتحُه من لحن العامة. قيل: إن اشتقاقه «شدرنج» ومعناه: أن من اشتغل به ذهب عناؤه باطلاً. وحكى الوطواط أنه مشتق من «شِشْ رَنْك» ومعناه: ستة ألوان. فالشاه لون، والفرزان لون، والفيل لون، والرخ لون، والفرس لون، والبيذق لون!

● في المثل: «أشرى الشرِّ صِغارُه». وأصله أن صياداً قدم بنحْيٍ من عسل ومعه كلب له. فدخل على صاحب حانوت، فعرض عليه العسل ليبيعه له، فقطرت من العسل قطرة، فوقع عليها زنبور. وكان لصاحب الدكان ابن عرس، فوثب على الزنبور، فوثب كلب الصياد على ابن عرس، فقتله. فضرب صاحب الدكان كلب الصياد بعصاه، فقتله. فوقع الصياد على صاحب الدكان فقتله. فاجتمع أهل قريةِ صاحبِ الدكان على الصياد فقتلوه. فبلغ الخبر قرية الصياد، فاقتتلوا مع أهل قريةِ صاحبِ الدكان حتى تفانوا! فقيل هذا المثل!

---

(١) سورة النجم: الآيات ٣٦ ـ ٣٨.

● ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه أن يحيى بن أكثم قاضي المأمون، كان قد وَلِيَ قضاء البصرة وسنُّه عشرون سنة أو نحوها. فاستصغروه، فقالوا: كم سن القاضي؟ فعلم أنه قد استُصغر، فقال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ على مكة عام الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله ﷺ قاضياً على اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سَوْر الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على البصرة. فأفحمهم!

● أبو العلاء صاعد بن الحسين اللغوي أصله من بلاد الموصل، دخل بغداد وأخذ عن علمائها، ورحل إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم الأموي في ولاية حاجبه المنصور بن أبي عامر في حدود ثمانين وثلاثمائة للهجرة، وكان عالماً باللغة والأدب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة، محسناً للسؤال. وجمع كتاب الفصوص ونحى فيه منحى القالي في أماليه، فإن المنصور أطلعه عليه، فقال صاعد: إن أراد الحاجب المنصور أمليت على دولته كتاباً أرفعَ منه لا أورد فيه خبراً مما أورده أبو علي. فأذن له، فأملى الفصوص. فلما تتبعه أدباء أخذوا عليه في صحة أخباره، فأمر المنصور به فقذف به في النهر، فقال فيه بعض الشعراء:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد:

عاد إلى معدنه إنما ... تخرج من قعر البحار الفصوص

وذكر ابن خلكان أن المنصور أجازه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار. والله أعلم.

وكان ذات يوم مع المنصور، حتى جيء الأمير بباكورة ورد في أول إبَّانها لم يستتم فتح ورقها، فقال فيها صاعد على البديهة:

أتتك أبا عامر وردة ... يذكرك المسكُ أنفاسَها

كعذراء أبصرها مبصرٌ   فغطَّتْ بأكمامها رأسَها

فسُرَّ المنصور بتلك البديهة. وكان أبو القاسم بن العريف حاضراً، فحسده، وتصدى لمناقضته، وقال للمنصور: هذان البيتان ليسا لَهُ، فقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر للعباس بن الأحنف، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور: أرنيه. فركب ابن العريف، وحرَّك دابته حتى أتى ابن بدر؛ وكان أحسن أهل زمانه بديهة. فوصف له ما جرى، فقال بعض الأبيات، ودس فيها بيتي صاعد وهي:

عسوت إلى قصر عباسة   وقد جدَّل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها   ....
فقالت أسارٍ على هجعة   فقلت نعم......
ومدت يديها إلى وردة   يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصرٌ   فغطت بأكمامها رأسها

فطار بها ابن العريف وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري بمداد أشقر، ودخل بها على المنصور. فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين: غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان لم يبق بموضع لي عليه سلطان، فلما أصبح وجَّه إليه المنصور، فحضر، وأحضر جميع الندماء، فأدخل الجميعَ في مجلس حفل قد أعد فيه طبقاً عظيماً جعل فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير، ووضع على السقائف لعباً من ياسمين في شكل الجواري، وتحت السقائف بركة ماء قد ألقى فيها اللآلىء مثل الحصباء، وفي البركة حية تسبح، فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: فهذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى بالضد عندنا، لأنه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى، وقد وقفت من ذلك على حقيقة، وهذا الطبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلي شكله، فصفه بجميع ما فيه، فقال صاعد على البديهة:

أبا عامر هل غير جدواك واكف؟ وهل غير من عاداك في الأرض خائف؟
يسوق إليك الدهر كل غريبة وأغرب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كُنَّساً تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب من ذا أنهنَّ نواظر إلى بركة ضمت إليها الطرائف
حصاها اللآلي سابح في عُبابها من الرقش مسموم العرانين زاحف
ترى ما تشاء العين في جنباتها من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغرب المنصور له تلك البديهة وكتبها بخطه، وأمر له بألف دينار، ومائة ثوب، ورتب له ثلاثين ديناراً كل شهر، وألحقه بالندماء. وظهر بهذا الاختبار الصعب فضل الرجل وبراعته، وأن ما نسبوه إليه من السرقة كل تحامل عليه من أهل الأندلس، لأنه كان غريباً لديهم، وكان مبرَّزاً عليهم في صناعتهم، فحسدوه!

● حجّام ساباط يضرب به المثل في الفراغ، فيقال: أفرغ من حجام ساباط.. ومن خبره أنه كان حجاماً لساباط المدائن، فإذا مرَّ به جند حَجمهم بالدَّين إلى وقت رجوعهم. وكان مع ذلك يمرُّ عليه الأسبوع والأسبوعان من غير أن يدنو منه أحد! فعند ذلك يُخرج أمه فيحجمها، ليُري الناس أنه غير فارغ. فما زال ذلك دأبه حتى نزف دم أمه فماتت فُجاءة. فصار فراغ ذلك الحجام مثلاً!

● بنو أنف الناقة هم بنو جعفر بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وسبب هذا اللقب عليه أن أباه قُريعاً نحر ناقة، فقسمها بين نسائه، فبعثت أمُّ جعفر ابنها هذا إلى أبيه تسأله حظَّها من اللحم، ولم يجد عنده غير رأس الناقة وعنقها، فقال له: شأنك بهذا. فأدخل جعفر يده في أنف الناقة، وجعل يجرُّه إلى أمه والناس يضحكون منه، فلقب بـ «أنف الناقة». فكان جعفر يُسَبُّ بها!

وبقي هذا اللقب سُبَّة في عقبه، فكان الواحد منهم إذا سُئل عن نسبه ينتسب إلى جده قُريع بن عوف، ويتجاوز النسبة إلى جعفر فراراً من اللقب. فبقوا على ذلك، إلى أن مدحهم الحطيئة، فأزال ذلك العار عنهم، وهو قوله:

قومٌ هم الأنفُ، والأذنابُ غيرُهم مَنْ ذا يُسوِّي بأنفِ الناقة الذَّنَبا

● يحكى أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة، فيسخر منه بنو نمير. فذكر ذلك لمواليه، فقالوا له: إن نبزكَ واحد منهم فقل له: فغُضَّ الطرف إنك من نمير (البيت). فلما عاد إلى السوق سخروا منه ونبزوه، فأراد أن يقول البيت، فنسيه! فجعل يقول: غضَّ عينيك وإلا جاءك ما تكره. فكفُّوا عنه، وعلموا أنه قد عَرَف قول جرير فيهم!!

لطف التدبير(*)
للخطيب الإسكافي

● يُقال إن المأمون جمع يوماً ولَدَه فقال: يا بَني ليعلم الكبير منكم أنه إنما عظم قدره بصغارٍ عظموه، وقويت قوته بضعافٍ أطاعوه، وشرفت منزلته بعوام اتّضعوا له. فلا يدعوَنَّه تفخيم المفخِّم منهم إيَّاه إلى تصغيره،

(*) . . . لطيف التدبير/لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي؛ حققه وعلق عليه أحمد عبد الباقي ـ القاهرة: مكتبة الخانجي؛ بغداد: مكتبة المثنى، ١٣٨٤ هـ، ١٥، ٢٣٧ ص.

والكتاب ـ كما يقول المحقق ـ مجموعة أخبار وحكايات مبوبة في اثنين وثلاثين باباً، ينتظم كلٌ منها قصصاً يتفق مغزاها وعنوان الباب، مع باب ختامي في أغراض مختلفة. وتنقسم الأغراض الأساسية التي تضمنتها أبواب الكتاب إلى ستة أقسام هي:

ـ ما يحتاج الملوك إلى معرفته من لطف التدبير في عقد الملك وإدارة شؤونه، وفي معالجة أمور الفتن والشغب.

ـ الحروب وتدبيرها، كفتح القلاع والبلدان، وصد الأعداء ودحرهم.

ـ دفع المكروه بقول أو لطف أو بمكروه مثله، ودفع الشبهات.

ـ المكايدة والثأر والانتقام.

ـ فنون السياسة، كالتعرف على الأسرار، والتستر، وفسخ العزائم.

ـ ضروب مختلفة من لطف التدبير.

والحكايات والأخبار التي رواها المؤلف مستمدة من تاريخ العرب وأيامهم في جاهليتهم، ومن حوادث التاريخ الإسلامي، ومن تاريخ الروم والفرس. . .

والمؤلف عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان، كان إسكافاً، ثم خطيباً بالري. له كتب عديدة، أشهرها «درة التنزيل وغرة التأويل» في الآيات المتشابهة. ويرد أيضاً بعنوان: «حل متشابهات القرآن». وهذا الكتاب منسوب إليه، حيث إنه ينازعه في هذا الأمر الراغب الأصفهاني. . . وربما غيره.

توفي المؤلف سنة ٤٢١ هـ.

وتعزيزه أمره إلى تذليله. ولا يستأثرن بفائدة ورفق[1] دونه. ولا يولعنّ بتسميته عبداً كما سمّت الأعاجم، بل وليّاً وأخاً. فإن الشيء الذي قِوامه من أجزاء خسيسة ومعانٍ مذمومة، فهو أيضاً خسيس مذموم. وكل امرىء من أولئك جزء من عدة أجزائه، وعماد من أعمدة أمره. فإذا انحلت أجزاؤه وزالت دعائمه، مال العماد وتهدم الكل. وقد قيل: إن من ملك أحراراً طائعين كان أشرف ممن ملك عبيداً مستكرهين. واعلموا أن قلوب الرعية خزائن ملكها، فما أودعها فليعلم أنه فيها.

● وقال يوماً آخر لهم: ارجعوا فيما اشتبه عليكم من التدبير إلى رأي الحزمة المجرّبين والبررة المشفقين، فإنهم مَرائيكم[2] يُرونكم ما لا ترون، ويكشفون لكم أغطية ما لا تعلمون. فقد صحبوا لكم الدهور، ومارسوا الدول[3]، وكفوكم التجارب والعِبَر. وعرفوا حوادث الأزمنة وأعراضها وإقبالها وإدبارها، والعلل التي يسكن بها الهائج المضطرب ويهتاج لها الساكن المطمئن. فروّضوا أنفسكم لهم، وتجرّعوا مرارتهم. فقد قيل إن من جرّعك مُرّاً لتبرأ أشفق عليكم ممن أوجرك[4] حلواً لتسقم، ومن خوّفك لتأمن، أبرّ ممن أمّنك حتى تخاف.

● وحُكي أن الحجاج بن يوسف لمّا حارب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس[5]، اشتد عليه أمر عبد الرحمن، فمنعه الحجاج ومنع أصحابه من دخول البصرة. وكان أكثر أصحاب

---

(١) الرفق: ما استعين به من مال أو متاع.

(٢) جمع مرآة.

(٣) مارس الأمر: عالجه. ومارسوا الدول: تقلبوا في عدد منها، وخبروها.

(٤) أوجرك: جعله في فمك، أي أطعمك.

(٥) من القادة الشجعان، كان قائداً تحت إمرة الحجاج، سيره على رأس جيش لغزو بلاد الترك ما وراء سجستان. وقد اختلف مع الحجاج فخرج عليه وأعلن خلع الخليفة عبد الملك بن مروان، ودخل العراق لمحاربة الحجاج. فنشبت بينه وبين جيوش الأمويين معارك عديدة، انتصر فيها عبد الرحمن أول الأمر.=

عبد الرحمن من أهل البصرة، فقال للحجاج كاتبٌ له من الدهاقين[1] يُقال له الفرخان: خلِّ بين الناس وبين دخولهم البصرة، وتنحَّ لهم عن الطريق، وابذل الأمان لمن دخل منهم، ومُرْ أن لا يُتَعَرَّض لهم. فإنهم إن دخلوا البصرة إلى عيالاتهم وأوطانهم، لم يخرج منهم إلى عسكر عبد الرحمن أحد، لأن القوم قد أشرفوا من حربك على أمر عظيم. فمنهم من يَرِقُّ لأولاده، ومنهم من يمنعه أمه وأبوه، ومنهم من يبقى على نفسه وماله.

ففعل الحجاج ما قال له الفرخان، وتنحى عن طريق البصرة، فتتابع الناس إلى البصرة، فلم يبق في عسكر عبد الرحمن إلاَّ القليل. ثم رجع الحجاج على الطريق، فقتل كل من وقع في يده ممن يريد عسكر عبد الرحمن، وأمسك الناس عن الخروج من البصرة، وزحف الحجاج إلى عبد الرحمن فقتله واستأسر أكثر أصحابه، وأثخن فيهم القتل.

● وحُكي أن رجلاً من بغداد يقال له «سهل بن سلامة» خرج في جماعة من غوغاء أهل بغداد، فأغواهم، بأن وسم نفسه بالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. فعظم شأنه، والمأمون بمرو. فبلغه خبر سهل، فدعا ثمامة بن أشرس ـ وكان مقرَّباً من المأمون ـ فقال له: إن رجلاً خرج ببغداد في نحو من خمسمائة رجل، يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فما ترى؟ قال ثمامة: يا أمير المؤمنين هذا خطب جليل ينبغي أن يُتلافىٰ. ثم دعاه المأمون بعد مدة، فقال: يا ثمامة، إن الرجل قد صار في ألفٍ. قال: وهذا خطب جليل أيضاً؛ هائل مخوف. ثم دعاه بعد مدة وقال: يا ثمامة إن الرجل في مدينة السلام قد صار في خمسة آلاف رجل. قال ثمامة: هذا أمر

= ثم قصده الحجاج بجيش كبير فانتصر عليه، فتتابعت هزائمه حتى اضطر إلى الالتجاء إلى ملك الترك «رتبيل» الذي غدر به فقتله وبعث برأسه إلى الحجاج.

(١) الدهاقين: جمع دهقان، وهو الرئيس عند الفرس القدامى.

قد ضعف فلا تحفل به. فقال له المأمون: كيف استعظمت حاله في خمسمائة وفي ألف وقد استضعفتها في خمسة آلاف؟ قال ثمامة: لأني ظننت أنَّ مَخْرَجه ومن معه لقصد الدين فراعني، فلما كثر أصحابه علمت أن خمسة آلاف رجل لا يجتمعون على نصرة الدين في مثل هذه السرعة، وأن أصحابه غوغاء.

فلمَّا دخل المأمون مدينة السلام أمر بسهل، وكره أن يقدم عليه بعقوبة فيفسد قلوب أهل الديانة والرعية. ثم أمر أن يُستعمل سهل على صدقات الجبل. فلما وليها سقطت حالته عند أهل الديانة والعامة. ثم وجَّه خلفه لمَّا خرج إلى الجبل مَنْ حاسبه وتتبع عمله فأظهر خيانته. وأمر المأمون بتقييد سهل، وحبسه بالجبل، حتى مات في حبسه.

● وحُكِيَ أن مُصعب بن الزبير لمَّا قدِم البصرة لحرب عبد الملك بن مروان ندب الناس للقتال معه. وكان فيمن ساعده الأحنف بن قيس، فأخرج مضربه فضربه في عسكر مصعب، فخرجت معه بنو تميم. فجاءت زبراء جارية الأحنف ـ وكانت إحدى الدهاة ـ فبكت بين يديه، وكانت حظيَّةً عنده. فقال: ما يبكيكِ؟ قالت: يقول الناس إن الأحنف قد ارتكس في الفتنة، وخرج في الطمع لشيءٍ يأخذه. فقال لها: فإني راجع. فبعث، فردَّ مضربه. فبلغ مصعباً فغمّه ذلك وقال: من أين أُتيت في الأحنف؟ قيل له: جاريته زبراء ردَّته، فبعث إليها بعشرة آلاف درهم، فضمنت له ردَّ الأحنف، فأتته تبكي، فقال: ما يبكيكِ؟ قالت: عيَّرتني النساء وقلن: كبر مولاكِ وجَبُنَ ولا قوة به على الحرب ولا علم له بها. فحمي من قولها، فردَّ مضربه، فقيل: هاجت زبراء. وكانت إحدى سقطات الأحنف!

● وحكى العتبي قال: بينا الحجاج في مسجد واسط يوماً، إذ مرَّ به رجل لم ير رجلاً قط أقصر منه. فدعا به وكلمه، ثم قال: إيتوني بفلان ـ يعني رجلاً من المجوس في حبسه ـ قال: فأُتي به برجل نكَّس رأسه

حين أراد دخول المسجد لطوله، وكأنه رجل من قوم عاد، فقال الحجاج: افرج بين رجليك، ففعل. فقال للقصير: مُرْ بين رجليه. فقال: أصلح الله الأمير، ليس في هذا المسجد أحفظ لكتاب الله ولا أقرأ له مني، فإن رأى الأمير أن لا ينجس كتاب الله عز وجل بممرّي بين رجلَيْ هذا الكافر فليفعل.

قال الحجاج: صدق، خلُّوا سبيله.

● وحُكي أن المنذر بن ماء السماء ـ وكان من أشهر ملوك المناذرة في الحيرة ـ كان خليفة كسرى على طائفة من العرب. وكان منزله في الحيرة على طفّ السواد[1].

فأرسل عديَّ بن زيد العبادي إلى كسرى ليسأله أن يستخلف النعمان بن المنذر ـ ابنه ـ بعده. فأقبل يريد باب كسرى على ناقة له، وكسرى ينظر إلى مَنْ على بابه من حيث لا يرونه. فجلس عدي بن زيد بالباب؛ فأطاف به أحداث من الفرس يستهزؤون به، فقالوا له وكسرى يسمع: يا أعرابي أي شيء أقوى؟ قال: ناقتي هذه! قالوا له: هي أقوى من الفيل؟ قال: نعم. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: أحمل عليها بوزنها وهي باركة، ثم أثيرها فتقوم، وأحمل على الفيل بوزنه فلا يحمله. فعجب كسرى من حجته.

قالوا: يا أعرابي، فأي شيء أشد صوتاً؟ قال: ناقتي هذه. قالوا: بل الكركي أشد صوتاً. قال: وكيف ذاك؟ قالوا: الكركي يصيح وهو محلق في جوف السماء فنسمعه. قال: فارفعوا ناقتي حتى تصيح معه، أو أنزلوا الكركي حتى يصيح بجنب الناقة، فهي أشد صوتاً. فعجب كسرى من حجته.

قالوا: فأي شيء أطيب لحماً؟ قال: ناقتي هذه. قالوا: هي أطيب لحماً من الدجاج والفراخ؟ قال: نعم، خذوا دجاجاً وفراخاً ومن لحم ناقتي هذه حتى نطرحه في قدر واحدة ثم يُطبخ، وبعد ما

(١) الطف: ما أشرف من الأرض. والسواد: الأرض الممتدة بين البصرة والكوفة وما حولهما من المدن والقرى.

ينضج الجميع ويطيب، فإن نضج لحم الناقة قبل غيره وزاد في الطيب عليه، وإلاّ فحكمكم.

فعجب كسرى منه، فدعا به فناظره. فقال عديّ بن زيد: إن النعمان أفضل إخوته، ولو أحضرهم الملك فامتحنهم لعرف ذلك. فأحضر ولد المنذر، وكانوا عشرة، النعمان أصغرهم سنّاً؛ فخلا بكل واحد منهم، فقال له: مَنْ أفضلكم؟ قال: أنا أفضل إخوتي. حتى بلغ إلى النعمان فقال له: مَنْ أفضلكم؟ قال النعمان: كل إخوتي أفضل مني. فأعجب به كسرى. فملك النعمان بن المنذر دون إخوته!

● وحُكي أن رجلاً من أصحاب الحجاج بن يوسف قال: أردت الفتك بالحجاج، فمكثت نحواً من سنة أطلب غِرَّة منه وفرصةً، حتى بلغني أنه يريد الخروج من باب له خاص. فأتيت الباب، فوقفت عليه، فخرج عليَّ وحده، فلما نظر إليَّ، وبيني وبينه قيد رمحين، عرف الشرَّ في وجهي! فتبسَّم في وجهي وقال لي: هل رأيتَ كاتبنا اليوم؟ قلت: لا. قال: فاذهب فالقه وخذ العهد الذي كتبته لك بأن تكون والياً على الري! فدعوتُ له، وانصرفت أريد الكاتب. فلم أصل إليه حتى لحقني من أخذني ووضعني في السجن!!

● وحُكي أن المأمون وجَّه رجلاً من دعاته إلى بغداد، وأمره بلقاء عبد الملك بن صالح العباسي، وقال له المأمون: إنك ستلقى من عبد الملك رجلاً بعيد الغور، دقيق الفطنة، سديد الحكم، رقيق اللسان، حسن التأني، فاحذره، فإنه يكثر المباحثة ويحسن المساءلة، ويحتال لاستخراج ما في ضميرك، ويعتبر عليك باختلاف ألفاظك، فلا تُرِه الاسترسال فيهتمك، ولا الاحتراس منه فيحذرك. وعليك باستعمال الغفلة إلى انتهاز الفرصة، فباحثه مباحثة الآمن، واحترس منه احتراس الخائف. واعلم أن البحث الخفي يجلو الأمر، والتعبير يكشف ما في الضمير. واحذر من تَعْرف، ولا تصحب من لا تَعْرف.

• وحُكي أن ملكاً كانت أسراره وأخباره تظهر كثيراً إلى عدوه، فيبطل تدبيره على عدوه. فبلغ ذلك منه مبلغاً شديداً، فشكا ذلك إلى أحد نصحائه وقال له: إن جماعة يطَّلعون على أسراري، ولا بد من إظهارهم.. ولست أدري أيهم يُظهرها، وأكره أن أنال من البريء منهم بما يستحق الخائن.

فدعا بكتاب، فكتب فيه أخباراً من أخبار الملك، وجعلها كذباً كلَّها. ثم دعا برجلٍ رجلٍ منهم، كل واحد دون أصحابه، ممن كان يُفشي الملكُ إليه خبرَه، فقال للملك: خبِّر كل واحد منهم بخبر على حدة لا تُظهِر عليه سائرَ أصحابه، ومُرْ كلَّ واحد منهم بستر ما أُسِرَّ إليه، واكتب على كل خبر اسم صاحبه.

فلم يلبث أن أظهر الخونةُ ما أُفشي إليهم. وانكتمت أخبار الناصحين وما أُفشي إليهم، فعرف الملك من يُفشي سرَّه، فحذره.

• خطب سلمان الفارسي إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ ابنته، فلم يستجز عمر ردَّه، وأنعم له. لكن شقَّ ذلك عليه وعلى ابنه عبد الله بن عمر. فشكا ذلك عبد الله إلى عمرو بن العاص، فقال عمرو: أفتحب أن أصرف سلمان عنكم؟ فقال له: هو سلمان وحاله في الإسلام حاله. قال: أحتال له حتى يكون هو التارك لهذا الأمر والكاره له، قال: وددنا أنك فعلت ذلك. فمرَّ عمرو بن العاص بسلمان في طريق، فضرب بيده على منكبه وقال: هنيئاً لك يا أبا عبد الله! فقال له سلمان: وما ذاك؟ قال: هذا عمر يريد أن يتواضع بك فيزوجك. قال سلمان: وإنما يريد أن يزوجني ليتواضع بي؟ قال: نعم. قال: لا جَرم، والله لا أخطب إليه أبداً!

• وحُكي أن سعد بن أبي وقاص لما حارب رستم بالقادسية،

لم يكن شيء أشدَّ على المسلمين من الفيلة، لنفار[1] دوابهم منها وشدة نكايتها. فأتى سعداً رجلٌ من أهل السواد، فقال له: أتعطيني الأمان على نفسي ومالي وقرابتي وعيالي، على أن أدلَّك على أمر يكفيك هذه الفيلة؟ فأعطاه سعد ما طلب، فقال له السوادي: اطلب خنزيراً من الأوالف، فإذا وافتكم الفيلة، فاضربوا الخنزير حتى يصيح، فإن الفيلة إذا سمعت صوته مضروباً ولَّت هاربة!

ففعل ذلك، فولَّت هاربة، فردَّها ساستها، فلما سمعت صوت الخنزير أيضاً، هربت ولم تقف!

(١) نفار الدواب: جزعها وتباعدها.

المثلث(*)
لابن السيد البطليوسي

- يقال لطرف الأصبع: أَنْمَلَة، وإِنمِلَة، وأُنْمُلَة.

- ويقال: أَصْبَع، وإِصْبَع، وأُصْبَع.

- الأَزْل: مصدر أَزَلْتُ الفَرَسَ إذا قَصَّرْت حبلَه. والإِزْلُ: الكذب. والأُزْلُ: السنون الشِّداد.

(*) المثلث/ لابن السِّيد البطليوسي؛ تحقيق ودراسة صلاح مهدي الفرطوسي - بغداد: دار الرشيد، ١٤٠١ هـ، ٢ مج.

والمثلث في التأليف اللغوي عرفه المحقق بقوله: أسلوب يتمثل في إيراد ثلاث حركات لثلاث كلمات تتشابه في الأصل والوزن وترتيب الحروف، وتختلف في حركة فائها أو عينها، سواء أكانت هذه الكلمات بحركاتها الثلاث متفقة المعنى أم مختلفة.

وكان أول مؤلَّف في هذا النوع كتاب المثلث لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ).

وهناك مؤلفات مثلثة في موضوعات أخرى من العلوم، مثل كتاب «الثلاثة» لابن فارس، الذي يعالج ثلاثة تقاليب من مادة واحدة، على وزن واحد، مثل: الحلم والحميل واللحيم، والضرام والضمار والمراض.

وهناك كتاب «المثلث في النسب» لإسماعيل بن الحسين المروزي (كان حياً سنة ٥٩٢ هـ).

وكتاب «المثلثات الواردة في القرآن» لأبي عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي (ت ٦٣٨ هـ)، وهو مثل قوله تعالى: ﴿لا فارض ولا بكر عوان...﴾.

والمؤلف هو عبد الله بن محمد بن السِّيْد البَطَلْيَوْسي. من العلماء باللغة والأدب. ولد ونشأ في «بطليوس» في الأندلس. وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفي بها سنة ٥٢١ هـ وله مؤلفات عديدة. وكتب الدكتور ظهور أحمد أظهر دراسة وافية عنه ظهرت في عددين من مجلة العرب بالسعودية: محرم - صفر ١٣٩٨ هـ، الجماديان ١٣٩٨ هـ.

ـ الأَرْثُ: مصدر أَرَثْتُ النارَ إذا أشعلتها. والإِرْثُ: الميراث. والأُرْث: جمع النعجة الأرثاء، وهي الرقطاء.

ـ الأَمَّة: الشَّجَّة في الرأس. والإِمَّة: النِّعمة. والأُمَّة: القرن، والأتباع، والجماعة، والحين. .

ـ الأَخَذ: رَمَدٌ يأخذ العين. والإِخْذ: حُفَر يجتمع فيها الماء كالحياض. والأُخَذ: سحر يُمْنَعُ به الرجل من النكاح.

ـ البَوْص: اللون، والسبق. والبِيْص: الشدة. والبُوص: عجيزة المرأة.

ـ البَنان: الأصابع أو أطرافها. والبِنان: الرائحة. والبُنان: الروضة.

ـ البَرىٰ: الخلق، والتراب. والبِرىٰ: جمع البِرْية، وهي بِرْية القلم ونحوه. والبُرىٰ: حَلَقٌ من صفر تجعل في أنوف الإبل، واحدتها: بُرَة.

ـ التَّسْع: مصدر تسعتُ القوم إذا كنتُ لهم تاسعاً. والتِّسع: العدد المعروف، وورود الماء في كل تسعة أيام. والتُّسْع: جزء من تسعة.

ـ الثَّوْرة: مصدر ثار الشيء إذا تحرَّك وهاج، والجماعة من الرجال يثورون في الحرب. والثِّيْرة: جماعة الثيران. والثُّورة: الثأر.

ـ الجَذْوَة، والجِذْوَة، والجُذْوَة: القطعة من النار.

ـ الجَرْم: القطع، والكسب. والجِرْم: الجسم، والصوت، واللون. والجُرْم: الذَّنْب.

ـ الجَدُّ: القطع، وأبو الأب وأبو الأم، ووكف البيت، والحظُّ السَّعْد، والعظمة والجلال. والجِدُّ: الانكماش، ونقيض الهَزْل، وشاطىء النهر. والجُدُّ: الرجل العظيم الجُدِّ، والبئر تكون بين الكلأ.

ـ الجَوْز: معروف، وجَوْز كل شيء: وسطه. والجِيْز: شقُّ الجبل، والجُوْز: جمع الجوزاء من الشياه، وهي البيضاء الوسط.

ـ الجَوْل: الجولان، والتراب الذي تجول به الريح. والجيل: الصنف من الناس. والجُوْل من الرجال: الذي لا حصافة له، وجانب البئر.

ـ الجَبْل: الغليظ، ومصدر جبله الله على كذا أي طبعه وخلقه. والجِبْل: المال الكثير، والجُبْل: العدد الكثير من الناس.

ـ الجَلْد: الضرب، ومصدر جَلَدَتِ الأرض إذا أصابها الجليد، والقويُّ من الرجال. والجِلْد: الإهاب. والجُلْد: الأشداء من الرجال.

ـ الجَوَّة: جوف البيت، والجِيَّة: مجتمع ماء في هبطة من الأرض. والجِيَّة: سير يُخاط به. والجُوَّة: السواد، ورقعة يرقع بها السقاء.

ـ الجَمال: الحُسْن. والجِمال: جمع جَمَل. والجُمال: لغة في الجميل.

ـ الجرجار والجرجير: نوعان من النبات. والجُرْجُور من الإبل العظيمة.

ـ يقال: كلمته بحَضْرة فلان، وحِضْرَته، وحُضْرته.

ـ الحَلُّ: ضد العَقْد، ووجوب الحق. والحِلُّ: الحلال، وما خرج عن أرض مكة. والحُلُّ: جمع الأَحَلِّ من الخيل، وهو الذي في قوائمه لين ورخاوة.

ـ الحَرْمُ: المنع. والحِرْم: الواجب، والحرام. والحُرْم: الإحرام، وجمع حريم الدار، وهو ما كان من حقوقها.

ـ الحَقُّ: ضد الباطل، ومصدر حققت الشيء إذا أوجبته.. والحِقُّ: الذي استحقَّ الركوبَ من أولاد الإبل. والحُقُّ: النَّقرة في رأس الكتف، ووعاء يصنع من خشب.

ـ الحَوْص: الخياطة. والحِيْص: جمع حائص، وهو الذي يحيد عن

الشيء. والحُوْص: جمع الأحوص، وهو الذي في مؤخر عينيه ضيق.

ـ الحَضْب: اشتعال النار، وسرعة انطباق الفخ على الطائر. والحِضْب: الحيَّة، وصوت القوس. والحُضْب: جمع حِضاب، وهو عود تُحَرَّك به النار.

ـ الحَجَّة: الفعلة الواحدة من الحج، ومصدر حجَّ الشيء إذا قصده، وشحمة الأذن. والحِجَّة: السنة. والحُجَّة: معروفة.

ـ الحَبَّة: معروفة. والحِبَّة: بزور البقول، وحَبُّ الرياحين. والحُبَّة: لغة في الحُبِّ.

ـ يقال: خَثَر اللبنُ وخَثِرَ وخَثُرَ.

ـ ورجل خَشَاش وخِشَاش وخُشَاش: وهو الصغير الرأس، اللطيف الجسم.

ـ الخَطْر: الشرف، واهتزاز الرمح، والطعن بالرمح، ومكيال ضخم. والخِطْر: النظير بمنزلة الخطير، ونبات يُختضب به. والخُطْر: الأشراف من الناس، واحدهم خطير.

ـ الخَطَّة: فَعْلةٌ من خَطَّ يخطُّ إذا كتب، ومن خَطَّه بالسيف إذا شقَّه، والخِطَّة: أرض يختطُّها الرجل أي يحوزها. والخُطَّة: شبه القصة، يقال: جاء وفي رأسه خُطَّة، أي قصة يريدها، وهي أيضاً المنزلة والمرتبة ينزلها الرجل.

ـ الخَبْرة: مصدر خبرتُ الأرض إذا حرثتها. والخِبْرة: الاختبار والامتحان. والخُبْرة: الأَدَم، وشاة يشتريها القوم ويقتسمون لحمها.

ـ يقال: الأيام دَوَلٌ، ودِوَلٌ ودُوَلٌ.

ـ الدَّيْش: قبيلة من قبائل العرب. والدِّيْش: لغة في الديك. والدُّوش: جمع الأدوش من الرجال والدوشاء من النساء، وهما اللذان في أبصارهما عَمَش.

ـ الدَّبْس: الكثير من كل شيء. والدِّبْس: عسل التمر. والدُّبس: جمع الأدبس، وهو الأحمر المشرب سواداً.

ـ الرَّغْم والرِّغْم والرُّغْم: الذُّل.

ـ الرَّبْوة والرِّبْوة والرُّبْوة: المكان المرتفع.

ـ رَغْوة اللبن ورِغْوته ورُغْوته.

ـ الرَّباب: السَّحَاب. والرِّباب: اسم لأحياء ضبَّة، وجمع رُبَّة وهي الجماعة من الناس، والقُشور. والرُّباب: جمع الرُّبىٰ من الشاء، وهي التي ولدت حديثاً.

ـ الزَّبْل: مصدر زَبَلْتُ الأرض إذا أصلحتها بالسرقين. والزِّبْل: السِّرْقين بعينه، وما تحمله النملة بفيها. والزُّبْل: جمع الزبلاء من الرياحين، وهي التي تنبتُ في المزبلة.

ـ الطَّبُّ: العالم بالأمور، والطبيب. والطِّبُّ: فعل الطبيب، والسِّحْر، والداء ـ فهو من الأضداد ـ والشهوة، وطُب: اسم موضع.

ـ الطَّشَّة: مطرة قليلة. والطِّشَّة: الصغير من الصبيان. والطُشَّة: الشعلة.

ـ الكَفْر: القرية.. والبُعد... والكِفر: العصا القصيرة. والكُفر: معروف.

ـ الكَفْتُ: صرف الشيء عن وجهه، والقبض، وتشمير الثوب. والكِفْت: القِدْر الصغيرة. والكُفْت: جمع كَفِيت، وهو الخفيف.

ـ الكَبْد: مصدر كَبَدْتُ الصيد إذا رميته فأصبت كبده، ومصدر كُبِدَ الرجلُ فهو مكبود: إذا أصابه داء في كبده. والكِبْد: تخفيف كَبِد. والكُبْد: جمع الأكبد، وهو المقلُّ الكبد، والرمال العظيمة.

ـ يقال لواحدة الممالك: مَمْلَكة ومَمْلِكة ومَمْلُكة.

ـ اللَّيْث: الأسد، وضرب من العناكب قصير الأرجل كثير العيون تصيد الذباب وثباً. واللِّيْث: شِداد الرجال، واحدهم أليث. واللُّوْث:

جمع الألوث من الرجال، وهو البطيء الثقيل اللسان..

ـ اللَّصُّ: فعل الشيء في ستر، وإغلاق الباب وإطباقه، مثل الرَّصّ. واللّصُّ واللُّصُّ: السارق. واللُّصُّ ـ بالضم خاصة ـ: جمع الألصّ من الرجال، وهو المجتمع المنكبين، وهو أيضاً المتقارب الأضراس.

ـ الصَّرْب: مصدر صَرَبْتُ اللبنَ في الوطب: إذا تركته حتى يحمض، وحَقْنُ البول. والصِّرْب: البيوت القليلة، وصَرِبَ الصبيُّ: احتبس غائطه. والصُّرْب: الألبان الحامضة، والبحيرة.

ـ الضَّعْف: في الرأي والعقل. والضُّعْف: في الجسم ـ وقيل هما بمعنى واحد وهو الصحيح ـ وضِعْفُ الشيء: زيادة مثله عليه.

ـ يقال: جلست عَنْدَه وعِنْدَه وعُنْدَه.

ـ ويقال: جئته من عَلْو، وعِلْو، وعُلْو.

ـ العَفْر: التراب. والعِفْر: الرجل الخبيث. والعُفْر: الحمر من الظباء.

ـ عَلْوان: اسم رجل. والعِلْيان: الرجل الطويل. والعُلْوان: عنوان الكتاب.

ـ يقال: فتك به فَتْكاً وفِتْكاً وفُتْكاً.

ـ ويقال: فَمٌ وفِمٌ وفُمٌ.

ـ الفَرْك: الدَّلْك. والفِرْك: أن تبغض المرأة زوجها. والفُرْك: جمع الأُذن الفرْكاء، وهي المسترخية.

ـ الفَوْفار: نوع من الشجر. والفِرْفير: نوع من الألوان. والفُرْفُور: الجَمَل السَّمين.

ـ القَسُّ والقِسُّ والقُسُّ: النميمة.

ـ القَشْم: الأكل الكثير. والقِشْم: اللحم إذا نضج واحمرَّ، ومسيل الماء، والجسم.

والقُشْم: جمع قشيم، وهو يبيس المَقْل.

ـ القَبْص: التناول بأطراف الأصابع. والقِبْصُ: مجتمع النمل، والعدد الكثير. والقُبْص: جمع القَبُوص من الخيل، وهو الذي إذا جرى لم تصب الأرضَ إلا أطراف سنابكه.

ـ السَّبْت: الراحة من العمل، ومنه سمي يوم السبت لأن اليهود يتركون فيه العمل، وهو بمعنى حلق الرأس، ومدة من الدهر، وسير سريع. والسِّبْت: الجلد المدبوغ بالقَرَظ تُصنع منه النعال. والسُّبْتُ: نبت.

ـ السَّمْسَم: الثعلب. والسِّمْسم: نبت معروف. والسُّمْسُم: الخفيف من الرجال.

ـ الشَّر: ضد الخير.. والشِّر: جمع شِرَّة. والشُّر: العيب، والمكروه.

ـ الشَّكْل: المِثْل، ومصدر شَكَلْتُ الكتاب إذا قيدت حروفه لئلا يُشْكِل. والشِّكْل: الغُنج والدَّلُّ. والشُّكْل: جمع العين الشَّكْلاء، وهي التي فيها حمرة، وجمع الأشكل من الكباش وهو الذي ابيضَّت خاصرته.

ـ الهَمْهام: الذي له همهمة، وهو صوت يردد في الصدر. والهِمْهِم من الحمير: الذي يردد نهيقه. والهُمْهوم: القصب الذي تهزُّه الريح فيُسمع له صوت.

ـ هَوْ: حكاية صوت المُهَوْهي الإبل. وهِيْ: لغة في هِيَ. وهُوْ: لغة في هُوَ.

ـ يقال: يُوْسَف ويُوْسِف ويُوْسُف.

ـ ويقال: يُوْنَس ويُوْنِس ويُوْنُس.

المخلاة(*)
لبهاء الدين العاملي

● قيل لحكيم: متى عقلت؟

قال: حين ولدت!

فلما رأى إنكارهم قال: أما أنا فقد بكيت حين جعت، وطلبت الثدي حين احتجت، وسكت حين أُعطيت.

يعني من عرف مقادير حاجاته فهو عاقل!

● من أقوال ملك الخزر: إذا شاورتَ العاقل صار عقله لك.

● وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما!

● قال عبد الله بن سليمان لأبي العيناء: اعذرني فإني مشغول.

فقال: إذا فرغتَ لم أحتج إليك. وما أصنع بك فارغاً؟ وأنشد:

فلا تعتلل بالشغلِ عنا فإنما　　تُناط بك الآمال ما اتصلَ الشغلُ

(*) المخلاة/ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ت ١٠٠٣ هـ) ـ القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣١٧ هـ، ٢٢٨ ص. وبآخره «أسرار البلاغة» للمؤلف نفسه، وبهامشه كتاب سكردان السلطان لابن حجلة المغربي.

والكتاب مثل شقيقه «الكشكول» للمؤلف نفسه، من المجاميع الأدبية المرسلة، حيث جمع فيه أخباراً وحكماً وآداباً وعلوماً كثيرة متنوعة، كثير منها نادر ومشوّق. والمؤلف عالم أديب إمامي، من الشعراء. ولد ببعلبك، وانتقل به أبوه إلى إيران، ورحل رحلة واسعة، ونزل بأصفهان، فولاه سلطانها (شاه عباس) رئاسة العلماء، فأقام مدة ثم تحول إلى مصر. وزار القدس ودمشق وحلب، وعاد إلى أصفهان، فتوفي فيها، ودفن بطوس، له كتب عديدة ونظم بالفارسية.

● قيل: عدا كلب خلف غزال، فقال له: لن تلحقني!

قال: لِمَ؟

قال: لأني أعدو لنفسي وأنت تعدو لصاحبك.

● قالوا: صبُرك على الاكتساب، خيرٌ من حاجتك إلى الأصحاب.

● قال أنو شروان لوزيريه: أي الفراش ألذ؟

فقال أحدهما: الفراش الخز المحشو بالريش.

وقال الآخر: ألذّ الفراش الحرير المحشو بالخز.

وكان بين يديه غلام في عُدد الحُجّاب فقال: أيها الملك أتأذن لي في الكلام؟

فقال: نعم.

قال: ألذُّ الفراش الأمن.

فقال: صدقت. فما ألذُّ الطعام؟

قال: ما لا يهِّيج على طبعه علةً.

فقال: أحسنت، فما ألذُّ الريحان؟

قال: الولد البارُّ ريحانة أبيه في حياته، وخَلَفٌ له بعد وفاته.

فرفع محلَّه، وألحقه بأكابر قومه!

● من كثر نومه فلا يُطمع في رقة قلبه، ومن كثر أكله فلا يطمع في قيام الليل، ومن اختار صحبة ظالم فلا يطمع في استقامة الدين، ومن كانت الغيبة والكذب دأبه فلا يطمع أنه يخرج من الدنيا مع الإيمان، ومن كثر اختلاطه مع الناس فلا يُطمع في حلاوة العبادة.

● قال سلمة الأحمر: دخلتُ على هارون الرشيد، فلما رأيتُ القصور أنشأت:

أما بيوتك في الدنيا فواسعة　　فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل هارون يبكي. ثم قال: يا سلمة عظني وأوجز.

قلت: يا أمير المؤمنين، لو كنتَ في فلاة من الأرض، فعطشتَ، بكم كنت تشتري شربة ماء تُروى بها؟

قال: بنصف ما أملك!

قلت: فإن أُعطيتها، فلما صارت في جوفك أبتْ أن تخرج، بكم كنت تشتري خروجها؟

قال: بالنصف الآخر!

قلت: فلعن الله دنيا تباع بشربة وبولة.

فبكى هارون واشتدَّ بكاؤه!

● ذكر أن رجلاً مدح آخر في وجهه، فقال له: يا عبد الله، لم مدحتني؟ أجرَّبتني عند الغضب فوجدتني حليماً؟ قال: لا. قال: أجربتني في السفر فوجدتني حسن الخُلق؟ قال: لا. قال: أجربتني عند الأمانة فوجدتني أميناً؟ قال: لا. قال: فلا يحلُّ لأحد ما لم يجرِّبه في هذه الأشياء الثلاثة!

● قال مجاهد رحمه الله: إذا كثر الخدم كثرت الشياطين!

● كان رجل ينسى أسماء مماليكه، فقال: اشتروا لي غلاماً له اسم مشهور ولا أنساه.

فاشتروا له غلاماً وقالوا: هذا اسمه «واقد».

قال: هذا اسم لا أنساه، أجلس يا فرقد!

● قال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: عجبتُ للبخيل يستعجل الفقر الذي منه يهرب، ويفوته الغنى الذي إياه يطلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء!

وعجبتُ للمتكبر الذي كان أمس نطفة، ويكون غداً جيفة!

وعجبتُ لمن شكَّ في الله وهو يرى خَلْقَ الله!

وعجبتُ لمن نسي الموت وهو يرى من يموت!

وعجبتُ لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى!

وعجبتُ لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء!

● أنستُ إلى التفرد طول عمري ... فما لي في البريَّةِ من أنيسِ
جعلتُ مُحادثي ونديم نفسي ... وأُنسي: دفاتري بدل الجليس
قد استغنيت عن فرس برجلي ... إذا سافرتُ أبو بغل لبوس
ولي عرس جديد كل يوم ... بطرح الهم في أمر العروس
وبطني سفرتي والخرج جسمي ... وهمياني فمي أبداً وكيسي
وبيتي حين يدركني مسائي ... وأهلي كل ذي عقل نفيس

● قال عبد الملك بن مروان: أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وزهد عن مقدرة، وأنصف عن قوة.

● قالوا: إذا كنتَ في غير بلدك فلا تنسَ نصيبك من الذل.

● قال رجل لسعيد بن العاص: والله إني لأحبك. فقال: ولِمَ لا تحبني ولستَ لي بجار ولا ابن عم؟!

● قال رجل لعمرو بن عبيد: إني لأرحمك مما يقول الناس فيك!

قال: فهل تسمعني أقول فيهم شيئاً؟

قال: ما سمعتك تقول إلا خيراً.

قال: فإياهم ارحم!

● قيل للشعبي: في كم تعرف العاقل؟

قال: في يوم إن سكت، وفي ساعة إن تكلم!

● كان خالد بن برمك يقول: التعزية بعد ثلاث: تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة!

● حدَّث الإمام الحسن البصري أن رجلاً تناول من رأس عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيئاً، فتركه مرتين.

ثم تناوله الثالثة، فأخذ عمر بيده وقال: أرني ما أخذت.

فإذا هو لم يأخذ شيئاً.

فقال عمر: انظروا إلى هذا! قد صنع بي ثلاث مرات أنه يأخذ من رأسي شيئاً ولا يأخذ شيئاً، فإذا أخذ أحدكم من رأس أخيه شيئاً فليره إياه.

● كان يقال: ما دخل باللِّين لا يخرج إلا مع الروح!

● ليس لثلاث حيلة: فقرٌ يخالطه كسل، وخصومة يداخلها حسد، ومرض يداخله هرم!

● شاور من جرَّب الأمور، فإنه يعطيك من رأيه ما وقع عليه غالياً، وأنت تأخذ مجاناً!

● قال الداراني: إني لألقم الأخ من إخواني اللقمة، فأجد طعمها في حلقي!

● مثل قديم: كل قاتل مقتول ولو بعد حين.

● كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا قالوا له: قد غلا اللحم، قال: ارخصوه. يعني بالترك.

وقد نظمه بعض الأدباء فقال:

وإذا غلا شيء عليَّ تركتُه فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

● كان معروف الكرخي رحمه الله تهدى إليه الطيبات من الطعام فيأكل. فقالوا له: إن بشراً لا يأكل من هذا. فقال: إن أخي بشراً

قبضه الورع، وأنا بسطتني المعرفة، إنما أنا ضيف في دار مولاي، إن أطعمني أكلت، وإن جوعني صبرت. ما لي وللاعتراض..؟

- قال عروة لبنيه: إذا رأيتم من رجل خصلة سوء فاحذروه! واعلموا أن لها عنده أخوات!

- صديقك من كان قلبه كقلبك إلا أنه في غير جسمك!

- لا تستحِ من إعطائك القليل، فإن المنع أقل!

- من لم يصلح لنفسه لم يصلح لك، ومن لم يذبَّ عن أهله لم يذبَّ عنك.

- إذا ملك الأراذل هلك الأفاضل. وإذا ارتفع الوضيع اتضع الرفيع.

من أخَّر الأكل لذَّ طعامه، ومن أخَّر النوم طاب منامه.

- عادة الكرام الجود، وعادة اللئام الجحود.

- قيل لصوفي: كيف رأيت الدنيا؟ قال: منعني سوء فعلها من النظر إليها.

- قال الحكماء: أمير عدل كغيم بلا مطر، وعالم بلا ورع كأرض بلا نبات، وشاب بلا توبة كشجرة بلا ثمر، وغني بلا سخاء كقفل بلا مفتاح، وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح!

- ما نفعُ السيوف بلا رجال؟

- قال معاوية رضي الله عنه: إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على الانتقام، وإن أنقص الناس عقلاً من ظلم من دونه.

- قال وهب بن منبّه: قال موسى عليه السلام لفرعون: آمن ولك الجنة ولك ملكك.

قال: حتى أشاور هامان.

فشاوره في ذلك فقال: بينما أنت إله تُعبد إذ صرتَ تَعبد؟ فأنف واستكبر، وكان من أمره ما كان.

● قيل لمعاوية: من أحب الناس إليك؟

قال: من كانت له عندي يدٌ صالحة.

● قال المنصور لولده: خذ عني ثنتين: لا تقل بغير تفكير، ولا تعمل بغير تدبير.

● لا تغترَّ بقول الجاهل لك: إن في يدك لؤلؤة، وأنت تعرف أنها بعرة!

● كم من برغوث أسهر فيلاً، ومنع الرقادَ ملكاً جليلاً!

● وُجد صبي مقموط في بعض المساجد بأصبهان، ومعه صُرَّة فيها مائة دينار، ورقعة مكتوب فيها: هذا جزاء من لا يزوج ابنته.

● حسن اللقاء نصف السخاء، ولين الكلام دِين الكرام، وحلاوة اللسان بعض الإحصان.

● قال الأعمش: كنت عند إبراهيم، فحدثني ستة أحاديث، فحفظتها، فلما انصرفتُ إلى البيت قالت الجارية: ما عندنا دقيق. فنسيت الستة!

● سئل أعرابي عن المروءة فقال: أن لا يمرَّ بك أحد إلا ناله رِفْدُك، ولا تمرَّ بأحد إلا رفعت نفسك عن رِفْدِه.

● استسقى الشعبي على مائدة قتيبة بن مسلم، فقال: يا أبا عمرو أي الشراب أحبُّ إليك؟

فقال: أعزُّه مفقوداً، وأهونه موجوداً. فقال قتيبة: أسقوه الماء.

● الأجلاف: جمع جلف، وأصله: الشاة المسلوخة بلا رأس ولا قوام؛ فشبَّه به الرجل الأحمق بضعف عقله.

• يقال: لا يغرَّنْك أربعة: إكرام الملوك، وضحك العدو، وتملق النساء، وحَرُّ الشتاء!

• قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته: ما تشتهي؟ قال: النظر في حواشي الكتب!

• قال المأمون: تحتمل الملوك كل شيء إلا ثلاثة: إفشاء السر، والقدح في الملك، والتعرُّض للحرم.

• الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن كثرت قتل.

• لا يُباع الصديق الألَوف بالأُلوف.

• بلغ ذئب عظماً فنشبَ في حلقه، فجاء إلى كركي، فجعل له أجراً على أن يُخرج العظم بمنقاره.

فأدخل الكركي رأسه في فم الذئب وأخرج العظم؛ ثم قال له: هات الأجرة. فقال له الذئب: ألستَ ترضى أن أدخلتَ رأسك في فمي ثم أخرجته سالماً حتى تطلب فيما بعد ذلك أجرة؟!

• رأى إبراهيم بن أدهم رحمه الله رجلاً يحدِّث بشيء من كلام الدنيا، فوقف عليه وقال: هذا كلامٌ ترجو فيه الثواب؟ قال: لا. قال: فتأمن فيه العقاب؟ قال: لا. قال: فما تصنع بكلام لا ترجو فيه ثواباً ولا تأمن فيه عقاباً؟ عليك بذكر الله تعالى.

• قال بعضهم: وجدتُ على قبر مكتوباً: أنا ابنُ من كانت الريح طوع يديه، يحبسها إذا شاء ويطلقها إذا شاء!

قال: فعظم في عيني مصرعه.

ثم التفتُّ إلى قبر آخر قباله وعليه مكتوب: لا يغترّ أحد بقوله، فما كان أبوه إلا بعض الحدادين، يحبس الريح في كيره ويتصرَّف!

فأعجبتُ منهما يتسابّان ميتين!

● قال الأصمعي: رأيتُ صبية في الوادي فقلت لها: أين أباك؟ فضربت وجهها. ثم قلت: أين أبيك؟ فقالت: أيها الجاهل قل: أين أبوك!

● قيل: ليس بينك وبين بلد نسب، فخيرُ البلاد ما حَمَلك.

● قال أبو سعيد: قال لي أحدهم: ما أسمك؟ فقلت: سعد. قال: ابن من؟ قلت: ابن مسعدة، قال: أبو من؟ قلت: أبو سعيد. فقال لي: مسألتك مثل أعرابي لقي آخر فقال له: ما اسمك؟ فقال: فياض. قال: ابن من؟ قال: ابن الفرات. قال: أبو من؟ قال: أبو بحر. فقال: ينبغي لنا أن لا نلقاك إلا في زورق وإلا سنغرق!

● قال الخليل: المسواك: العود نفسه، والسواك: استعماله، يقال: تساوكت الإبل: إذا اضطربت أعناقها من الهزال: فالسواك مأخوذ من الاضطراب والتحرك. وكذلك اليد تتحرك وتضطرب عند السواك.

● حكى ابن خلكان أن بعض الأمراء اصطاد حمار وحشٍ في سنة (٦٦٠ هـ)، فطبخوه فلم ينضج، ولا أثر فيه الوقود. ثم افتقدوا أمره، فإذا هو موسوم على أذنه: «بهرام جور». قال: وقد أحضره إلي فرأيته كذلك! وهذا يقتضي أن لهذا الحمار قريباً من ثمانمائة سنة، فإن بهرام جور كان قبل البعثة بمدة متطاولة، وحمر الوحش على هذا تعيش زماناً طويلاً!

● من عادة العجم أنهم في يوم من سنتهم يجمعون بين سبعة سينات ويأكلونها، وهي: السكر، والسمسم، والسميد، والسفرجل، والسقنقور، والسذاب، والسماق.

● كان مكحول الشامي لا يُرى إلا باكياً، ثم دُخِلَ عليه في مرض موته فضحك، فقيل له في ذلك فقال: ولِمَ لا أضحك وقد دنا فراق من كنتُ أَحْذَرُه، وسرعة القدوم على من كنتُ آمُلُه!

● جاء إنسان إلى بائع الطواقي فقال: أعطني قبعة لصغير اسمه

عثمان: فقال البائع: كم عمره؟ فإن الأقباع لا تباع بالأسماء. قال: هو في عمر ابن جارتنا. قال: وهل أعرف كم عمر ابن جارتكم؟ فافتكر ساعة ثم قال: ولدته أمه قبل العيد الكبير. قال: وهل أدري أي عيد وأي سنة؟ فافتكر زماناً وقال: سنة طلق الحاج أحمد الحائك ابن خالتي زوجتَه. قال البائع: اذهب واسأل من الحاج أحمد!

● قال بعضهم: من لَقِيَنا بأنف طويل لقيناه بخرطوم فيل، ومن لَحظَنَا بنظر شزر بعناه بثمن نزر.

● قيل: ما عزَّ كذوبٌ ولو أخذ القمر بيده، ولا ذَلَّ ذو حقٍّ ولو اتفق العالم عليه.

● قال بعض الحكماء: إذا كنتَ صبياً تلعب مع الصبيان، وإذا كنت شاباً غفلتَ باللهو الفاني، وإذا كنتَ شيخاً كنتَ ضعيفاً، فمتى تتقي الله يا غافل؟!

● قال الخليل بن أحمد النحوي: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال. وقال أبو حيان: وأنا أقول: كالشمال بلا يمين!

● صفة الدنيا أربع: تسرّ، وتفرّ، وتضرّ، وتمرّ!

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وعجائب الأخبار ومحاسن الأشعار وعيون الآثار(*) للعصامي

حُكي أن الشيخ زين الدين عمر الوردي ـ رحمه الله ـ قعد في سوق الشهود بدمشق، فجاءه رجلان ليكتب صكاً بمشترى ضيعة، فقال: أكتب لكما إن شئتما نظماً وإن شئتما نثراً.

فقال المشتري: بل نظماً.

فكتب من غير توقف ولا روية، ما تحيَّر قَلَمُه فيها حتى أتمَّها، وهي:

باسم إله العرش هذا ما اشترى   محمد بنُ يوسفَ بن سنْقَرا

(*) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وعجائب الأخبار ومحاسن الأشعار وعيون الآثار/ تأليف محمد بن صالح بن الحسن العصامي الصنعاني؛ تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحِوالي ـ بيروت: دار المسيرة، ١٤٠٥ هـ، ج ١: ٣١٧ ص.

وهو من قبيل كتب الأدب والأخبار، وفيه قطع تاريخية عن المتقدمين، من الصحابة والأدباء والشعراء، ويتخلل ذلك حِكَم وآداب.

وقد رأيت من المطبوع الجزء الأول فقط، وهو في أكثره أخبار عبد الملك بن مروان والحجاج الثقفي، بينما يبلغ المخطوط أكثر من خمسة عشر جزءاً!

وقد ألف العصامي هذه الموسوعة للإمام المهدي وبأمره، وهو المهدي عبد الله ابن الإمام المتوكل على الله أحمد، المتوفى سنة ١٢٥١ هـ.

والمؤلف أديب يمني، من أهل صنعاء، كان واسع الأفق، عارفاً بالتواريخ والأخبار، قوي الحافظة جداً. وهو من تلاميذ الإمام الشوكاني. وله ترسُّل ونظم جيد. اختير لمجالسة المهدي، يملي عليه غرر الأشعار ويشرح له عجائب القصص والآثار... توفي سنة ١٢٦٣ هـ.

من أحمدَ بنِ مالكِ بنِ الأزرقِ كلاهما قد عُرفا من جُلَّق
فباعه قطعةَ أرضٍ واقعهْ بكورة الغُوطة وهي جامعهْ
لشجرٍ مختلفِ الأجناسِ والأرض في البيع مع الغراسِ
وذَرْعُ هذي الأرض بالذراع عشرونَ في الطول بلا نزاع
وذَرْعُها في الأرض منها عَشَرَهْ وهو زراعٌ باليد المعتبَرهْ
وحدُّها من قِبْلي مالك التَّقي وجابرِ الروميِّ حدٌ المشرقِ
ومن شمالٍ ملكُ أولاد علي والغربِ ملكِ عامرِ بن جهبَلِ
وهذه تُعْرَفُ من قديم بأنها قطعةُ بنتِ الرومي
بيعاً صحيحاً لازماً شرعيّاً ثم شراءً قاطعاً مرضيّاً
لا شرطَ فيه أبداً فيفسدَهْ وليس فيه مُبْطِلٌ ولا عِدَهْ
بثمنٍ مبلغه من فضّهْ وازنةٍ جيدةٍ مرضيَّهْ
جاريةٍ للناس في المعاملهْ ألفانِ منها النصف ألفٌ كاملهْ
قبضها البائع منه وافيهْ فعادت الذمَّة منها خاليهْ
وسلَّمَ الأرض إلى من اشترى فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدنِ التفرُّقُ طوعاً فما لأحد تعلُّقُ
بعد الوقوف المحض والمشاهدهْ والنظر الشرعيِّ في المعاقدهْ
بيعاً صحيحاً ثابتاً شرعياً ثم شراءً لازماً مرضيًّا
ثم ضمانُ الدَّرك المشهورِ فيه على بائعه المذكورِ
وأشهدا عليها بذاك في سادس عشر رمضان الأشرفِ
من عام خمسينَ تليها عشرهْ من بعد سبعِ مائة للهجرهْ
والحمد لله وصلّى ربي على النبي وآله والصحب
شهد بالمضمون مِنْ هذا عُمَرْ بنُ المظفَّر المعري إذْ حَضَرْ

قيل: فلما فرغ من كتابتها قال لشاهد آخر: اكتب رسم شهادتك نظماً. فأراد أن يكتب فعجز، فقال: ما اسمك؟ قال: أحمد بن سَوَّار، قال: فاكتب:

وحَضَر العقدَ لذاك أحمدُ هو ابنُ سَوَّارٍ بذاك يَشْهَدُ!

• كان جَوْشة الضمري صديقاً لعبد الملك بن مروان. ثم خرج على عبد الملك مع ابن الزبير.

فلما استأمن الناسُ من عبد الملك، وصل جوشةُ إلى عبد الملك، فقال له عبد الملك: يا جوشة، أكنتُ مستحقاً منك أن تُعين ابنَ الزبير عليَّ مع ما بيني وبينك؟

فقال: يا أمير المؤمنين لا تعجلنَّ عليَّ حتى تسمع عذري.

قال: هات عذرك.

قال: ما رأيتُ نفسي قط في حربٍ أو سباق خيل أو نضال ومراماة إلا والجماعة التي أنا معها مغلوبة مهزومة بسوء بختي وشؤمي؛ وإنما خرجتُ مع ابن الزبير ليُقتل بشؤمي!

فضحك منه عبد الملك، وعفا عنه، وأحسن إليه.

• كان مرزبان من سُمّار سابور ملك فارس، فظهرت له من سابور جفوة. فلم علم ذلك مرزبان تعلم نباح الكلاب، وعويَّ الذئاب، ونهيق الحمير، وصياح الديوك، وشجيج البغل، وصهيل الخيل... ثم توصَّل إلى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه، وأخفى أثره.

فلما خَلِيَ الملك بنفسه، نبح مرزبان نباح الكلاب. فلم يشك الملك أنه كلب، فقال الملك: ما هذا؟ فعوى مرزبان عواء الذئاب. فنزل الملك عن سريره. فنهق مرزبان نهيق الحمير. فمضى الملك هارباً، ومضى غلمان الملك يتبعون الصوت! فكلما دنوا من مرزبان ترك ذلك الصوتَ وأحدث صوتاً آخر من أصوات البهائم. فأحجم الغلمان عنه. ثم اجتمعوا وتقحَّموا عليه وأخرجوه.

فلما نظروا إليه قالوا للملك: هذا مرزبان المضحِّك.

فضحك الملك سابور ضحكاً شديداً، وقال لمرزبان: ويلك! ما حملك على هذا؟

فقال مرزبان: إن الله مسخني كلباً وحماراً وكلَّ خَلْق لما غضبتَ عليَّ.

فردَّه الملك إلى مرتبته، وتجدَّد به سروراً...

● قال الشعبي: سمعت الحجَّاج يقول بكلام ما سبقه إليه أحد! سمعته يقول: إن الله عز وجل كتب في الدنيا الفناء، وفي الآخرة البقاء، فلا فناء لمن كُتب عليه البقاء، ولا بقاء لمن كُتب عليه الفناء. فلا يغرَّنكم شاهدُ الدنيا في غيب الآخرة، فطولُ الأمل يقصِّره الأَجَلُ، وإن الله تبارك وتعالى أمرنا بطلب الآخرة، وتكفَّل لنا بالرزق في الدنيا، فتركنا ما أمرنا بطلبه، وطلبنا ما تكفَّل لنا به، فليته أمرنا بطلب الدنيا وتكفَّل لنا بأمر الآخرة!

● يروى أن قتيبة بن مسلم الباهلي مازح أعرابياً جافياً، فقال قتيبة: أيسرُّكَ يا أخا العرب أن تكون أميراً مثلي وتكون باهلياً؟

فقال الأعرابي: لا والله.

قال قتيبة: أفتحب أن تكون خليفةَ الله على بلاده وتكون باهلياً؟

فقال الأعرابي: لا والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس!

قال قتيبة: أفيسرُّك يا أخا العرب أن تكون باهلياً وتكون في الجنة خالداً مخلداً؟

فأطرق الأعرابي ثم قال: أيها الأمير بشرط أن لا يعلم أهلُ الجنة أني باهليّ!!

فضحك قتيبة من قوله!

● أخذ الحجاجُ جريراً الشاعر ـ أشعر أهل زمانه ـ فأراد قتله. فمشى إلى الحجاج قوم جرير، فقالوا للحجاج: أصلح الله الأمير، إن جريراً لسانُ مُضَر وشاعرها، هَبْهُ لنا.

وكانت هند بنت أسماء بن خارجة - الأمير الكبير - زوجةَ الحجاج، فقالت للحجاج: ائذن لجرير عليَّ يوماً يدخُل إليَّ أستنشده من شعره من وراء حجاب.

فقال لها الحجاج: نعم.

فأمرت هند بنت أسماء بمجلس لها، فهُيِّىء لها، فجلست فيه - والحجاج معها - وراء الستر.

ثم بعث الحجاج إلى جرير أن يأتيه.

فدخل جرير على هند بنت أسماء بن خارجة، يسمع كلامها ولا يراها!

فقالت هند لجرير: يا ابن الخطَفي أنشدني ما شبَّبتَ به في النساء، وما تغزَّلت بهن.

فقال جرير: ما شبَّبْتُ بامرأة قط، ولا خلق الله تعالى شيئاً هو أبغض إلي من النساء!

فقالت هند بنت أسماء بن خارجة: يا عَدُوَّ الله فأيْن قولُكَ:

طَرقتك صائدة القُلُوب وليس ذا ... حسينَ الزِّيارة فارجعي بسلامِ
لوْ كنتِ صادقةً بما حدَّثتِنا ... لَوصَلْتِ ذاك فكانَ غير لمامِ
يجري السِّواكُ على أغَرَّ كأنّهُ ... بَرَدٌ تحدَّرَ من مُتون غمامِ
سَرَتِ الهمومُ فبتْنَ غير نيامِ ... وأخو الهموم يَرُوم كلّ مرامِ

قالَ جريرٌ: ما قُلتُ هذا، ولكنِّي الذي أقولُ:

لَقَد جرَّد الحجَّاجُ للحقِّ سَيْفَه ... ألاَ فاستَقيموا لا يميلَنَّ مائلُ
وما يَسْتوِي داعي الضَّلالة والهدى ... ولا حجة الخصمين حقٌّ وباطلُ

فقالت هندُ بنتُ أسماء: دع عنك هذا يا جرير، فأين قولك:

خَلِيلي لا تَسْتَغْزِرا الدَّمع من هند ... أُعيذُكما بالله أن تجدا وَجْدي
ضميتُ إلى بَرْد الشّراب وشربها ... كذي مِزنةٍ يَرجُو جَدَاها وما تجدي

قال جرير لها: ما قُلتُ هذا، ولكنّي أنا الّذي أقول:

وَمَنْ يأمن الحجَّاجَ إمَّا عقابُهُ فمُرٌّ وإما عقدُهُ فوثيقُ
يُسِرُّ له البغضاء كلُّ منافقٍ كما كُلُّ ذي برّ عليه شفيقُ

فقالت هندُ: دع عنك هذا فأيْن قولك يا جرير:

يا عاذلَي دَعَا الملامةَ واقْصِرا طالَ الهوى وأطلتما التفنيدا
إنِّي وَجَدُك لو أردتِ زيادَةً في الحبِّ عندي ما وجدتِ مزيدا

فقالَ جريرٌ: هذا باطلٌ أصلحك الله، ولكني أنا الذي أقول:

من سَدّ مُطّلع النّفاق عليهم أم من يصول كصولَةِ الحجَّاج
أم من يغار على النِّساء حفيظةً إذ لا يثقن بغيرة الأزواج
هذا ابنُ يوسُف فافهموا وتفهموا بَرَح الخفاء ولاتَ حين تناجِ
فلَربَّ تارك بَيْعتين تركْتُهُ وخضابُ لحيَتِهِ دَمُ الأَوْداجِ

فقال الحجاج: يا عدو الله تحرِّض عليَّ النساء؟

فقال جرير للحجاج: لا والذي أكرمك أيها الأمير، ما فظنتُ بك ساعتي هذه، وما علمتُ بمكانك جعلني الله فداك.

قال: فأمرت له هند بجائزة وكسوة، وأوفده الحجاج على عبد الملك.

● كان لعبد الملك بن مروان ولدٌ اسمه «معاوية»، مشهورٌ بالعِيِّ والبلادة. طار يوماً بازيٌّ من يده فقال: أغلقوا أبواب المدينة حتى لا يخرج البازي!

● ذكر المبرد والمدائني والعتبي والمسعودي وغيرهم من الإخباريين، أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عُوتب على كثرة إفضاله ونفقاته، فقال عبد الله بن جعفر: إن الله تبارك وتعالى عودني أن يفضل عليَّ، وعوَّدت عبادَه أن أفضل عليهم، فأنا أكره أن أقطع العادة عنهم، فيقطع الله تعالى العادة عني.

• كان الحجاج يوماً في مجلسه، وعنده بعض ندمائه، فعطس النديم عطسة منكرة، ففزع الحجاج وقام مغضباً، وقال: ما أردتَ بهذه العطسة إلا أن تروِّعني!

فقال النديم: أيها الأمير، هذه والله عادتي.

فقال الحجاج: فوالله لئن لم تأتني بشاهد على ذلك لأفعلنَّ وأفعلنَّ.

فخرج الرجل من عند الحجاج، فوجد بعض أصحابه، فقصَّ عليه الأمر، فقال: أنا أشهد لك.

فدخلا على الحجاج، فقال الرجل لصاحبه بما يشهد، قال: أيها الأمير أشهد أنه عطس يوماً عطسةً فوقع منها ضرسه!

فضحك الحجاج حتى استلقى وقال: حسبك!

• وفد الحجاج على الوليد بن عبد الملك، فوجده في بعض نُزَهِه، فلما رأى الوليد ترجَّل الحجاجُ له، وقبَّل يَد الوليد، وجعل يمشي معه والوليد راكب، وعلى الحجاج درع وكنانة وقوس عربية.

فقال الوليد للحجاج: اركب يا أبا محمد.

فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين، دعني أستكثر من الخدمة لك، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنك.

فعزم الوليد على الحجاج، حتى ركب.

ودخل الوليد داره، وخلع ثياب الدولة، ولبس ثياباً رقيقة، وجعل على رأسه غلالة، ثم أذن للحجاج بالدخول.

فدخل على الوليد في حالته تلك، وأطال الحجاج الجلوسَ عند الوليد.

فبينما الحجاج يحادث الوليد، إذ جاءت جارية فساررت الوليد في أذنه ومضت. ثم عادت الجارية فَسَاررته مرة أخرى، ثم انصرفت الجارية.

فقال الوليد للحجاج: يا أبا محمد أتدري ما قالت هذه الجارية؟

قال الحجاج: لا والله.

قال الوليد: أرسلتها إليّ ابنة عمي زوجتي أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان تقول لي: ما مُجالستك لهذا الأعرابي المتسلح في السلاح وأنت في غُلالة؟ فأجبت عليها أنه الحجاج، فراعها ذلك وقالت أم البنين: والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخَلْقَ الكثير.

فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تطلع النساء على سرك ولا مكايَدة عدوك، ولا تطمعهن في غير أنفسهن، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن، وإياك ومشاورتهن في الأمور، فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن. واكفف عليهن من أبصارهن بحجبتك، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها، ولا تطل الجلوس معهن فإن ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك.

ثم نهض الحجاج، فخرج إلى دار الضيافة، ودخل الوليد على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان امرأته، فأخبرها بمقالة الحجاج.

فقالت: أم البنين: يا أمير المؤمنين أحب أن تأمر الحجاج غداً بالتسليم علي.

قال الوليد: أفعل إن شاء الله تعالى.

فلما غدا الحجاج على الوليد قال له الوليد: يا أبا محمد سر إلى أم البنين فسلم عليها.

فقال الحجاج: اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال الوليد: لا بد من ذلك.

فمضى الحجاج إلى أم البنين، فحجبته طويلاً، ثم أذنت له،

فأقرَّته قائماً على قدميه ولم تأذن له بالجلوس، ثم قالت: إيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وقتل ابن الأشعث؟ أما والله لولا أن الله جعلك أوهن خلقه عليه ما ابتلاك برمي الكعبة ولا بقتل عبد الله بن الزبير ابن ذات النطاقين، وأول مولود ولد في الإسلام. وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلتك فأظلتك رماحهم، وأنجاك من ابن الأشعث كفاحهم، ولولا ذلك لكنت من أذل النقَد[1].

وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين الوليد من ترك لذَّاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه، فإن كنَّ نساء أمير المؤمنين يلدن مثل ما ولدت به أمك فما أحقه بالأخذ عنك والقبول منك، وإن كن نساء أمير المؤمنين ينفرجن ويلدن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك، قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسِنان غزالة الخارجية الحرورية يلوح بين كتفيك وأنت منهزم بين يديها حيث يقول:

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة ... فتخاء يفزع من صفير الصافر
هلا برزْت إلى غزالة في الوغا ... بل كان قلبُك في جناحي طائر

ثم قالت أم البنين لجواريها: أخرجنه عني.

فدخل الحجاج على الوليد من فوره وساعته تلك، فقال الوليد للحجاج: يا أبا محمد ما كنت فيه؟

فقال الحجاج: والله يا أمير المؤمنين ما سكتت أم البنين حتى كان بطن الأرض أحب إليَّ من ظاهرها.

فضحك الوليد حتى فحص برجليه، ثم قال الوليد: يا أبا محمد إنها بنت عبد العزيز بن مروان.

---

(١) هي ضعاف الغنم.

● روى ابن أبي الدنيا بسنده إلى طاووس اليماني - عالم اليمن ومفتيها، وهو أحد أعلام التابعين - قال طاووس: بينما أنا بمكة، استدعاني الحجاج - وقد خرج الحجاج حاجاً من العراق - فأتيته، فأجلسني الحجاج إلى جانبه، واتكأ على وسادة. فبينما نحن نتحدث، إذ سمع الحجاج صوتاً عالياً بالتلبية، فقال: عليَّ بالرجل الملبي، فأحضروه إليه، فقال له: ممن الرجل؟

قال: من المسلمين.

قال: إنما أعني البلد والقوم.

قال الرجل: أنا من أهل اليمن.

فقال له الحجاج: كيف تركت أخي محمد بن يوسف - وكان والياً على اليمن.

فقال الرجل: تركت محمد بن يوسف وسيماً جسيماً، لبَّاساً للحرير، ركَّاباً، خرَّاجاً، ولاَّجاً!

قال الحجاج: إنما سألتك عن سيرته.

فقال: تركته غشوماً ظلوماً، مطيعاً للمخلوق، عاصياً للخالق!

فقال الحجاج: تقول في أخي هذا وقد علمتَ مكانه مني؟

فقال الرجل: أتُراه منك أعزُّ مني بمكاني من ربي، وأنا مصدقٌ نبيِّه ﷺ، وأنا وافد بيتَه؟

فسكت الحجاج، وذهب الرجل بغير إذن.

قال طاووس: فما رأيت مثل ذلك الرجل، رضي الله عنه.

● حدَّث العُتبي عن أبيه قال: قدم على الحجاج ابنُ عمٍّ له أعرابي من البادية أحمق. فنظر إلى الحجاج يولِّي الناس، فقال له: أيها الأمير، لِمَ لا توليني بعض هذه الولايات؟

فقال الحجاج: هؤلاء الذين نوليهم يكتبون ويحسبون، وأنت لا تكتب ولا تحسب!

فغضب الأعرابي وقال: بلى والله إني لأَحْسَبُ منهم حساباً، وأَكتَبُ منهم يداً.

فقال له الحجاج: فإن كنت كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس.

فما زال يقول: ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس، ثلاثة بين أربعة، لكل واحد منهم درهم، يبقى الرابع بلا شيء. كم هم أيها الأمير؟

قال: هم أربعة.

قال: نعم أيها الأمير، قد وقعتُ على الحساب، لكل واحد منهم درهم، وأنا أعطي الرابع منهم درهماً من عندي.

وضرب بيده على كيسه، فاستخرج منه درهماً وقال: أيكم الرابع؟ فلاها الله ما رأيت كاليوم زوراً مثل حساب هؤلاء الحضريين أهل المدن!

فضحك الحجاج ومن معه منه، وذهب الضحك بهم كلَّ مذهب!!

● روى أبو عبد الله الأودي أن رجلاً يقال له عمرو بن أوس، قاتل مع علي رضي الله عنه يوم صفين، فأسره معاوية في أسرى كثيرة، فقال عمرو بن العاص: اقتلهم.

فقال عمرو بن أوس: لا تقتلني يا معاوية، فإنك خالي.

فقامت بنو أزد إلى معاوية فاستوهبوه منه.

فقال معاوية: دعوه، فلعمري إن كان صادقاً فيما ادَّعاه من خؤولتي إياه ليستغنينَّ عن شفاعتكم، وإلا فشفاعتكم من ورائه.

ثم استدناه معاوية فقال: من أين أنا خالك؟ فوالله ما بين بني عبد شمس وبين أزد من مصاهرة!

فقال الرجل: فإن أخبرتك فعرفتَ فهو أماني عندك؟

قال: نعم.

قال أليست أمُّ حبيبة أختُك أمَّ المؤمنين؟ فأنا ابنها وأنت أخوها، فأنت إذاً خالي!

فقال معاوية: لله أبوه! أما كان في هؤلاء الأسرى من يفطن إلى هذا غيره؟!

● بلغَ الحجاجَ موتُ أخيه محمد بن يوسف بصنعاء اليمن، وموتُ ابنه محمد بن الحجاج في يوم واحد. فصعد المنبر وقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون. محمَّدان في يوم! والله ما كنتُ أودُّ أن يكونا معي الدنيا لما أرجو لهما من ثواب الآخرة. وايمُ الله ليوشكنَّ الباقي منا ومنكم أن يفنيا، والجديدان أن يبليا، وستُدال الأرضُ منا فتأكل من لحومنا، وتشرب من دمائنا، كما أكلنا من ثمارها، وشربنا من أنهارها!

● لما حضر الحجاجَ الموتُ جعل يقول عند الموت: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل.

فلما احتُضر قال:

يا ربِّ قد حلف الأعداءُ واجتهدوا   أيمانَهم أنني من ساكني النارِ
أيحلفون على عمياء ويحهمُ   ما ظنُّهم بعظيمِ العفو غفَّارِ

المستجاد من فَعَلات الأجواد(*)
للقاضي التنوخي

● اجتمع قُرّاء البصرة إلى ابن عباس ـ وهو عامل البصرة ـ فقالوا: لنا جارٌ صوَّام قوَّام، يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله. وقد زوَّج ابنة له من ابن أخيه، وهو فقير ليس عنده ما يجهزها به.

فقام عبد الله بن عباس، فأخذ بأيديهم، فأدخلهم داره، ففتح صندوقاً، فأخرج منه ست بِدَرٍ ثم قال: احملوا. فحملوا.

فقال ابن عباس: ما أنصفناه! أعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه! ارجعوا نكنْ أعوانه على تجهيزها، فليس للدنيا من القَدْرِ ما يشغل به مؤمناً عن عبادة ربه تعالى، وما بنا من التكبر ما لا نخدم معه أولياء الله تعالى.

ففعل، وفعلوا.

● قالت سعدى بنت عوف: دخلتُ على طلحة بن عبيد الله، فرأيت منه ثِقَلاً، فقلت: ما لك؟ قال: اجتمع عندي مالٌ أهمَّني

(*) المستجاد من فعلات الأجواد/ لأبي علي المحسن بن التنوخي؛ عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي ـ د. م. د. ن، ١٣٩٠ هـ، ٢٨٤ ص.

وهو سفر جمع أخبار الكرماء وقصصهم في الجاهلية والإسلام، يحمل أدباً وأخلاقاً وتاريخاً واجتماعاً.

والمؤلف هو القاضي التنوخي المحسن بن علي البصري، صاحب «نشوار المحاضرة» و «الفرج بعد الشدة» وغيرهما.

كان قاضياً، من العلماء الأدباء الشعراء. ولد ونشأ في البصرة، وولي القضاء في جزيرة ابن عمر وعسكر مكرم، وتقلد أعمالاً، وسكن بغداد، فتوفي فيها. . سنة ٣٨٤ هـ.

وغمَّني، فقلت: وما يغمُّك؟ ادعُ قومك فاقسمه فيهم.

فقال: يا غلام، عليَّ بقومي. فقسمه فيهم، فسألت الخادم: كم كان؟ قال: أربعمائة ألف!

● اشترى عبد الله بن عامر بن خالد بن عقبة بن أبي مُعَيْط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم. فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدارهم التي اشتُريت. قال: يا غلام إيتهم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً.

● يروى أن عبد الله بن جعفر خرج إلى ضيعة له، فنزل على نخيل قومٍ وفيها غلام أسود يقوم عليها، فأُتي بقُوْتِه ثلاثة أقراص من الخبز، ودَخل كلب، فدنا من الغلام، فرمى إليه بقرص فأكله، ورمىٰ إليه بالثاني فأكله، ثم الثالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه، فقال: يا غلام، كم قوتك كلَّ يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلِمَ آثرت هذا الكلب على نفسك؟ قال: ما هذه بأرض كلاب، وإخاله جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت ردَّه!

قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أبقى جائعاً يومي هذا.

فقال عبد الله: والله إن هذا لأسخى مني!

فاشترى الحائط والغلام وما فيه من آلات، وأعتق الغلام، ووهب ذلك كله له!!

● حدَّث أحمد بن أبي دواد القاضي قال: ما رأيت رجلاً عرض على الموت فلم يكترث به ولا شغله عما أراده حتى بلغه وخلصه الله من القتل إلا تميم بن جميل السدوسي الخارجي. وكان قد خرج على المعتصم، ورأيته قد جيء به أسيراً، فأُدخل عليه في يوم موكب، وقد جلس المعتصم للناس مجلساً عاماً، ودعا بالسيف والنطع[1].

---

(١) بساط من الأديم.

فلما مثل بين يديه، نظره المعتصم فأعجبه حسنه وقدُّه ومشيته إلى الموت غير مكترث به. فأطال الفكر فيه، ثم استنطقه لينظر أين عقله ولسانه من جماله، فقال:

يا تميم، إن كان لك عذر فأتِ به.

فقال: أما إذا أذن أمير المؤمنين في الكلام فإني أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله سلالة من ماء مهين. يا أمير المؤمنين، جبر الله بك صدعَ الدِّين، ولَمَّ بك شعث الإسلام والمسلمين، وأخمد بك شهاب الباطل، وأنار بك سبيل الحق. إن الذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسنة، وتصدِّع الأفئدة. وايمُ الله لقد عظمت الجريرة، وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأنت إلى العفو أقرب، وهو بك أشبه وأليق. ثم أنشده:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظني من حيث ما أَتَلَفَّتُ
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرىءٍ مما قضى الله يُفلت
وأي امرىء يُدلي بعذر وحجة ... وسيفُ المنايا بين عينيه مُصْلَت
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أن الموتَ شيء مؤقَّت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتَّت
كأني أراهم حين أُنعى إليهم ... وقد لطموا حُرَّ الخدود وصوَّتوا
فإن عشتُ عاشوا سالمين بغبطةٍ ... أذود الردى عنهم وإن متُّ مُوِّتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره ... وآخر جذلان يسرُّ ويشمت

قال: فبكى المعتصم ثم قال: «إن من البيان لسحراً» كما قال رسول الله ﷺ. ثم قال: يا تميم، كاد والله يسبق السيف العذل، وقد وهبتك لله ولصبيتك وعفوت عن زلتك. ثم عقد له ولاية على عمله، وخلع عليه، وأعطاه خمسين ألف دينار!

● ذكر عبد الله بن منصور قال: كنتُ يوماً في مجلس

الفضل بن يحيى، فأتاه الحاجب فقال: إن بالباب رجلاً قد أكثر في طلب الإذن، وزعم أن له يداً يمتُّ بها. قال: أدخله.

فدخل رجل جميل الوجه رثُّ الهيئة، فأحسن السلام، فأومأ إليه بالجلوس، فجلس، فلما علم أنه قد انطلق وأمكنه الكلام قال له: ما حاجتك؟

قال له: قد أعربتْ عنها رثاثةُ هيئتي وضعف طاقتي.

قال: أجل، فما الذي تُمتُّ به؟

قال: ولادة تقرب من ولادتك، وجوار يدنو من جوارك، واسم مشتق من اسمك.

قال الفضل: أما الجوار فقد يمكن أن يكون كما قلت، وقد يوافق الاسم الاسم، ولكن ما علمك بالولادة؟

قال: أعلمتني أمي أنها لما وضعتني قيل لها إنه ولد الليلة ليحيى بن خالد غلام وسُمي الفضل، فسمتني «فُضيلاً» إعظاماً لاسمك أن تلحقني به، وصغرته لقصور قدري عن قدرك.

فتبسم الفضل وقال: كم أتى عليك من السنين؟ قال: خمس وثلاثون سنة.

قال: صدقت، هذا المقدار الذي أتيت عليه. قال: فما فعلت أمك؟

قال: توفيت رحمها الله.

قال: فما منعك من اللحوق بنا فيما مضى؟

قال: كانت فيَّ عامية وحداثة تقعد بي عن لقاء الملوك.

قال: يا غلام أعطه لكل عام مضى من سنيّه ألفاً، وأعطه من كسوتنا ومراكبنا ما يصلح به. فلم يخرج من الدار إلا وقد طاف به إخوته وخاصة أهله!

● قيل: كان أبو مزيد أحد الكرماء، فمدحه بعض الشعراء، فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك، ولكن قدِّمني إلى القاضي، وادَّعِ عليَّ بعشرة آلاف درهم أُقِرُّ لك بها، ثم احبسني، فإن أهلي لا يتركَونني محبوساً.

ففعل ذلك، فلم يُمْسِ حتى دُفعت إليه عشرة آلاف درهم، وأُخرج أبو مزيد من الحبس.

● قال الربيع بن سليمان: سمعت الحميدي يقول: قدم الشافعي رحمه الله من صنعاء إلى مكة المكرمة بعشرة آلاف دينار. فضرب خباءه في موضع خارج مكة، ونثر الدنانير على ثوب، ثم أقبل على كلِّ من دخل عليه يقبض قبضةً ويعطيه، حتى صلى الظهر. ونفض الثوب وليس عليه شيء!!

● قال محمد بن عباد المهلبي: دخل أبي على المأمون، فوصله بمائة ألف درهم، فلما قام من عنده تصدَّق بها. فأُخبر بذلك المأمون، فلما عاد إليه عاتبه في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين، مَنْعُ الجود من سوء الظن بالمعبود. فوصله بمائتي ألف أخرى!

● دخل رجل على سالم بن قتيبة الباهلي يكلمه في حاجة يطلبها منه، فوضع نصل سيفه على إصبع سالم واتكأ عليه! وجعل يكلمه في حاجته وقد أدماه، وسالمٌ صابر، فلما فرغ الرجل من حاجته وخرج، دعا سالم بمنديل، فمسح الدم عن إصبعه وغسله، فقيل له: هلاَّ نحَّيت رجلك أصلحك الله، أو أمرته برفع سيفه عنك. فقال: خشيت أن أقطعه عن حاجته!!

● يروى أن رجلاً من الأنصار جاء إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنهما فقال له: يا ابن عم رسول الله، إنه ولد لي في هذه الليلة مولود، وإني سميته باسمك تبركاً به، وإن أمه ماتت. فقال عبد الله: بارك الله لك في الصبيِّ، وأجزل لك في الصبر على

المصيبة. ثم دعا بوكيله فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جاريةً تحضنه، وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته. ثم قال للأنصاري: عد إلينا بعد أيام، فإنك جئتنا وفي العيش بؤس، وفي المال قلة.

قال الأنصاري: جُعلت فداك، لو سبقت حاتماً بيوم واحد ما ذكرته العرب أبداً، ولكنه سبقك فصرتَ تالياً، وأنا أشهد أن فضل مالك أكثر من وجوده، وطَلُّ كرمك أكثر من وَبَله[1].

● قيل: أُتي معن بن زائدة بأسرى، فعرضهم على السيف. فقال له بعضهم: نحن أسراك أيها الأمير، ونحن نحتاج إلى شيء من الطعام. فأمر لهم بذلك، وأُتي بالطعام، فقال لأصحابه: أمعنوا في الأكل. ومعن ينظر إليهم ويتعجب منهم.

فلما فرغوا من أكلهم قام فقال: أيها الأمير، قد كنا قبلُ أسراك ونحن الآن أضيافك، فانظر ماذا تصنع بأضيافك؟!

فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم.

فقال له بعض من حضر: ما ندري أيها الأمير أيُّ يوميك أشرف، يوم ظفرك أو يوم عفوك!!

● سأل عبد الملك بن مروان أسماءَ بن خارجة: بلغني عنك خصال فحدثني بها.

قال: يا أمير المؤمنين، هي من غيري أحسن منها مني.

قال: عزمت عليك إلا حدثتني بها.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط، ولا صنعت طعاماً فدعوتُ إليه قوماً إلا كانوا بإجابتي أَمَنَّ عليَّ مني عليهم، ولا نَصَبَ لي رجل وجهه قط يسألني حاجة فاستكثرتُ شيئاً أعطيه إياه.

---

(١) الوبل: المطر الشديد، والطل: المطر الضعيف.

● كان لسليمان بن عبد الملك مؤذن يؤذنه في قصره بأوقات الصلاة. فجاءته جارية له مولدة فقالت: يا أمير المؤمنين، إن فلاناً المؤذن إذا مررتُ به لم يقلع ببصره عني. وكان سليمان أشد الناس غيرةً، فهمَّ أن يأمر بالمؤذن؛ ثم قال: تزيِّني وتطيَّبي، وامضي إليه فقولي له: إنه لم يَخْفَ عني نظرك إلي، وبقلبي منك أكثر مما بقلبك مني، فإن تكن لك حاجة فقد أمكنك مني ما تريد، وهذا أمير المؤمنين غافل، فإن لم تبادر وإلا لم أرجع إليك أبداً.

فمضت إلى المؤذن، وقالت له ما قال لها.

فرفع طرفه إلى السماء وقال: يا جليل أين سترك الجميل؟

ثم قال: اذهبي ولا ترجعي، فعسى أن يكون الملتقى بين يدي من لا يخيِّب الظن.

فرجعتْ إلى سليمان، وأخبرته الخبر، فأرسل إليه. فلما دخل على سليمان قال له الحاجب: إن أمير المؤمنين رأى أن يهب لك فلانة، ويحمل إليك معها خمسين ألف درهم تنفقها عليها. فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، إني والله ذبحتُ طمعي منها من لحظة رأيتها، وجعلتها ذخيرةً لي عند الله، وأنا استحيي أن أسترجع شيئاً ادخرتُه عنده.

فجهد به سيلمان أن يأخذ المال والجارية فلم يفعل. فكان يعجب منه، ولا يزال يحدِّث أصحابه بحديثه!!

● عتب عبد الله بن طاهر على بعض كتابه، فسجنه في مقصورة. فأشرفت عليه جارية لعبد الله كانت حظيَّة عنده، فنظرت إلى الفتى - وكان أديباً - ووافقت نظرةً منه إليها. فوقع في قلبها محبة شديدة. وعالجت الصبر عنه فلم تقدر عليه، فأخذت رقعة فكتبت فيها:

أيها الزاني بعينيـه وفي الطَّرْف حتوف
إن تُرِدْ وصلاً فقد أمكنك الظبي الألَوف

ثم دَلَّتْ إليه الرقعة بخيط، فلما قرأها كتب فيها:

إن تـــريـــنـــي زانـــي الـــ ... عـيـنـيـن فـالـقـلـبُ عـفـيـفِ
لـــيـــس إلا الـــنـــظـــر الـــفـــا ... تـــك والـــعـــقـــل ظـــريـــف

فلما رأته الجارية يكتبُ في الرقعة جواباً فرحت، ولم تشكَّ أنه فيها أرغب. فلما رفعت الرقعة وقرأتها، ساءها ردُّه، فقلبتها وكتبت في ظهرها:

قـــد أردنـــاك عـــلـــى أن ... تـجـتـلـي ظـبـيـاً أَلـوفـا
فـــأبـــيـــتَ الآن لا ... زلـتَ لـقـيـديـك حـلـيـفـا

ثم دَلَّتها، فلما قرأها كتب فيها:

مـا تـركـت الـظـبـيَ أنّـي ... كـنـتُ لـلـظـبـي عـنـيـفـا؟
غـيـر أنـي خـفـتُ ربـاً ... لـم يـزل بَـرّاً رؤوفـاً!

فرفعت الرقعة، فلما رأتها ساءها ذلك، فأومأت بها لتجعلها في جيبها، فجعلتها بين ثوبها وهي لا تدري. فدخلت مقصورتها.

وجاء عبد الله بن طاهر ماشياً في سطح قصره، فمرَّ بالرقعة، فتناولها، فعرف خطَّ الجارية وخطَّ الفتى، فعجب من عفته وصبره عنها على حسنها وجمالها، وكانت من أعزِّ جواريه عليه، فدخل عليها، فوجدها مكتئبة حزينة، فقال: ما هذه الرقعة يا فلانة؟ قالت: أعزَّ الله الأمير، هي ما رأيت. قال لها: فالله عليك شاهد أنه لأحبُّ إليكِ مني؟ قالت: إي والله. قال: فأمر بالفتى، ففكت قيوده، وكساه، وأجازه، وقال له: خذ هذه الجارية بجميع ما يحويه ملكها، ثواباً لعفتك وتقاك وخوفك الله تعالى.

ورفع مرتبته من كتَّابه. ولم يزل مكرماً له!

● قيل لأبي عقيل البليغ: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة؟ قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر،

وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة!!

● نظر زياد إلى رجل من ضَبَّة يأكل أكلاً قبيحاً، وهو أقبح الناس وجهاً، فقال له: يا أخا ضبَّة كم عيالك؟ قال: سبع بنات، أنا أجمل منهن وهنَّ آكَلُ مني!

فقال زياد: لله دَرُّه ما ألطف سؤاله! افرضوا لكل واحدة منهن مائة وخادماً، وعجلوا له ولهن بأرزاقهم.

فخرج الضبيُّ وهو يقول:

إذا كنتَ مرتاد السماحة والندى ... فبادر زياداً أو أخاً لزياد
يجبك امرؤٌ يعطي على الحمد ماله ... إذا ضنَّ بالمعروف كلُّ جواد
ومالي لا أثني عليه وإنما ... طريفي من معروفه وتلادي!

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لامرأة: والله لأسوأنَّك. قالت: والله ما أنت على ذلك بقادر. قال: وكيف؟ قالت: أتستطيع أن تنزع عني الإسلام؟ قال: لا. قالت: فما يسوؤني غيره!

● قال رجل للأحنف: أخبرني الثقة عنك بسوء.

قال: الثقة لا ينمُّ.

● قال الرشيد يوماً لشريك القاضي[1]: يا شريك، آية من كتاب الله ليس لك ولا لقومك فيها شيء!

قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟

قال: ﴿وإنه لذكرٌ لك ولقومك﴾[2].

فقال شريك: وآية أخرى يا أمير المؤمنين ليس لي ولا لقومي فيها شيء.

---

(١) وهو كندي، أصله من اليمن.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

قال: وما هي؟

فقال: ﴿**وكذَّب به قومُك وهو الحق**﴾[1].

● قال عمر بن عبد العزيز لنعيم بن سلامة الحميري ممازحاً: قومك الذين قالوا: ﴿**ربَّنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم**﴾[2]؟

فقال نعيم: الذي قال قومك أشدُّ يا أمير المؤمنين: إذ قالوا: ﴿**اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**﴾[3].

فتبسم عمر.

● قال معاوية يوماً لأهل الشام وعنده عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه: هل سمعتم قول الله عز وجل: ﴿**تبت يدا أبي لهب وتبَّ**﴾؟

قالوا: نعم.

قال: فإن أبا لهب عمُّ هذا الرجل. وأشار إلى عقيل!

فقال عقيل: يا أهل الشام، هل سمعتم قوله تعالى: ﴿**وامرأته حمَّالة الحطب. في جيدها حبل من مسد**﴾[4]؟

قالوا: نعم.

قال: فإنها عمة هذا الرجل. وأشار إلى معاوية.

● قال رجل لعقيل بن أبي طالب ـ وكان عجيب الجواب ـ: إن فيكم يا بني هاشم لجمالاً.

فقال: هو منا في الرجال، ومنكم في النساء!

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٦.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٩.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

(٤) سورة المسد: الآيتان ٤ ـ ٥.

● قال رجل من ولد أبي جهل لشريك: أكان عليٌّ يَقْنُت في الفجر؟

قال: نعم، ويلعن فيه أباك!

● قيل لأبي العالية الرياحي: كيف أصبحت؟

قال: على خلاف ما يحب الله، وخلاف ما يحب الشيطان، وخلاف ما أحب!!

قيل له: كيف ذلك؟!

قال: لأن الله يحب أن أطيعه ولا أعصيه، ولستُ كذلك.

والشيطان يحب أن أعصي الله وأطيعه، ولستُ كذلك.

وأنا أحب أن لا أهرم ولا أفتقر ولا أموت، ولستُ كذلك!!

● نظر الفرزدق إلى شيخ من اليمن فقال: كأنه عجوز سبأ!

فقال اليماني: عجوز سبأ خيرٌ من عجوز قريش. هذه قالت: **﴿ربِّ إني ظلمتُ نفسي وأسلمتُ مع سليمان لله ربِّ العالمين﴾**(١)، وتلك حمَّالة الحطب!

---

(١) سورة النمل: الآية ٤٤.

مقامات الزمخشري(*)

● يا أبا القاسم، إن خصال الخير كتفّاح لبنان، كيفما قلّبتها

(*) مقامات الزمخشري: مشروحة ألفاظها اللغوية ونكاتها الأدبية وإشاراتها الحكمية، ورموزها التاريخية/ بقلم منشئها جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - ط ٢ ـ القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٣٢٥ هـ، ٢٤٠ ص.
أنشأ الإمام الزمخشري هذه المقامات بعد مرض أنهك جسمه، وكان سبب إنابته وتغيُّرِ حاله. وقد أخذ على نفسه الميثاق لله إن مَنَّ عليه بالصحة أن «لا يطأ بأخمصه عتبة السلطان، ولا واصِلِ بخدمة السلطان، وأن يربأ بنفسه ولسانه عن قرض الشعر فيهم، ورفعِ العقيرة في المدح بين أيديهم، وأن يعفّ عن ارتزاق عطيّاتهم.. وأن يعتصم بحبل التوكل ويتمسّك، ويتبتّل إلى ربه ويتنسّك... وأن لا يدرِّس من العلوم التي هو بصددها إلا ما هو مهيبٌ بدارسه إلى الهدى، رادعٌ عن مشايعة الهوى، ومُجْدٍ عليه في علوم القراءات والحديث وأبواب الشرع، من عرف منه أنه يقصد بارتياده وجه الله تعالى.. وحين أتاح الله له الصحة التي لا يُطاق شكرُها، وألطف له في الوفاء بما عهد.. عمل في إنشاء المقامات حتى تمّمها خمسين مقامة، يعظ فيها نفسه، وينهاها أن تركن إلى ديدنها الأول.. إلا على سبيل التندُّم والتحسُّر، ويأمرها أن تلجَّ في الاستقامة على الطريقة المثلى... والله يسألُ أن يلقي عليها قبولاً من القلوب، ويرزقها ميلاً من النفوس، وإنصاتاً من الأسماع، وتسييراً في البلاد....
وعناوين الأبواب الخمسين هي: مقامة الراشد، التقوى، الرضوان، الارعواء، الزاد، الزهد، الإنابة، الحذر، الاعتبار، التسليم، الصمت، الطاعة، المنذرة، الاستقامة، الطيب، القناعة، التوقي، الظلف، العزلة، العفّة، الندم، الولاية، الصلاح، الإخلاص، العمل، التوحيد، العبادة، التصبُّر، الخشية، اجتناب الظلمة، التهجد، الدعاء، التصدق، الشكر، الأسوة، النصح، المراقبة، الموت، الفرقان، النهي عن الهوى، التماسك، الشهامة، الخمول، العزم، الصدق، النحو، العروض، القوافي، الديوان، أيام العرب.
وقد انتقينا من هذه المقامات بعض الفقرات أو العبارات السهلة الألفاظ، الواضحة المعاني..

دعتك إلى نفسها. وإن خصال السوء كحَسَك السَّعْدان، أنَّى وجَّهْتَها نهتك عن مَسِّها...

● يا أبا القاسم، العمر قصير، وإلى الله المصير، فما هذا التقصير؟ إن زِبْرجَ[1] الدنيا قد أضلَّك، وشيطانَ الشهوة قد استزلَّك. لو كنتَ كما تدَّعي من أهل اللُّبِّ والحجى، لأتيتَ بما هو أحرى بك وأحجى، ألا إن الأحجى بك أن تلوذ بالركن الأقوى. ولا ركنَ أقوى من ركن التقوى. الطرقُ شتَّى فاختر منها منهجاً يهديك. ولا تَخْطُ قدماك في مَضَلَّةٍ تُرديك. الجادَّةُ بيِّنة، والمحجَّة نيِّرة...

● يا أبا القاسم، شهوتُك يَقْظَىٰ فَأَنِمْها، وشبابُك فرصةً فاغتنمها... اكفف قليلاً من غرب شطارتك، وانتهِ عن بعض شرارتك...

● يا أبا القاسم، اترك الدنيا قبل أن تتركك، وأفركها قبل أن تفركك[2]..

● يا أبا القاسم، ما لك لا ترفض هذه الفانية رفضاً، ولا تنفض يديك عن طلبها نفضاً. ألم تر كيف أبغضها الله وأبغضها أنبياؤه؟ ومَقَتها ومَقَتها أولياؤه؟ ولولا استيجابُها أن تكون مرفوضة لوزنت عند الله جناح بعوضة. إن راقك رواؤها الجميل فما وراءه مشوَّه، ما هي إلا سُمٌّ زُعاف بالعسل مموَّه.

●.. غِيبة المسلم من تعاطي الكأس أحرم[3]، والإمساك عن عِرْضه من ترك المعاقرة ألزم. إن المغتاب فضَّ الله فمه، يأكل لحم المغتاب ويشرب دمه... فاسجن يا أبا القاسم لسانك، وأطبق عليه

---

(١) الزبرج هو الزخرف، وهو من أسماء الذهب.

(٢) الفرك: البغض.

(٣) أي أشد حرمة.

شفتيك وأسنانك، ثم لا تُطلق عنه إلا ما ترى النُّطقَ من الصمت أفضل، وإلى رضى الله وما يُزلف إليه أوصل. وإلا فكن كأنك أخرس، واحذر لسانك فإنه سَبُع أو أفرس، حسبك ما أوردك إياه من الموارد. . .

● . . . قف على أطلالها بالتأوُّه والاستعبار، ولا يكوننَّ تأوُّهك واستعبارك إلا للتذكر والاعتبار. ولا تستوقف الركب في أوطان سلمى ومنازل سُعدىٰ مقترحاً عليهم أن يساعدوك بالقلوب والعيون، ويساعفوك ببذل ذخائر الشؤون[١] . . .

● يا أبا القاسم، تمنَّ على فضل الله أن يجعل سقياك من زُلال المَشْرَب، ورزقك من حلال المكتسب، فالطيِّبُ لا يَرِدُ إلا الطيِّبَ من المناهل، والكريم لا يريد إلا الكريم من المآكل. .

● يا أبا القاسم، اقنع من القناعة لا من القُنوع، تستغنِ عن كل معطاء ومَنُوع. ولا تَخْلُق[٢] أديم وجهك إلا عند من خَلَقه وخلقك، ولا تسترزقك إلا مَنْ رَزَقه وإن شاء رزقك. القناعة مملكةٌ تحتها كلُّ مملكة، مملكة لا سبيل عليها لمهلكة. لا يتوقَّعُ صاحبُها أن يفتقر بعد غُنْيته، ولا يقع النَّفادُ في كنزه وقِنْيته[٣]. ثم إنه مع أن يساره لا يَفْضُله يسار، ولا يَضْبط حُسْبان ما يملك يمين ولا يسار، أخفُّ الناس شُغْلاً ومؤونة، وأغناهم عن إرفادٍ ومعونة. لا يُهمّه مَكِيلٌ ولا موزون، ولا يَغْنيه مُدَّخر ولا مخزون. مفاتحه لا تنوء بالعصبة أولي القوة، على أنه أوفر من قارون سَعَةً وثروةً. من قَنِعَ بالنَّزْر اليسير أيسر، ومن حَرَصَ على الجمِّ الغفير أعسر. إن القانع أصاب كل ما أراد وزاد، ولن تجد حريصاً يَبْلُغ المراد. . .

(١) ذخائر الشؤون: هي الدموع.
(٢) تخلق: تبلى.
(٣) اسم لما يقتنى من المال.

● يا أبا القاسم، لا تقولنَّ لشيء من سيئاتك حقير، فلعله عند الله نخلة وعندك نقير. وروِّ[1] في جلالة قَدْرِ الناهي وكِبَره، ولا تنظر إلى دقة شأن المنهيِّ عنه وصِغَره... فراقب الله عند فتح جفنك وإطباقه، وإمساك نظرك وإطلاقه، وأمام تكلُّمك وصمتك، وما تَرفعُ وتَخْفِضُ من صوتك، وبين يَدَيْ نسيانك وذِكْرك، وما تُجيل من رويَّتك وفكرك، ودون تقديم قدمك وتأخيرها، وتطويل خُطاك وتقصيرها...

● ... القانط الفَزِعُ جامدٌ لا يرتاح للعمل، والآمِنُ الطَّمِعُ متلكِّىء متَّكىء على الأمل. فإن حاولتَ أن لا تقعد يائساً بائساً، ولا آملاً آمناً، فقطِّعْ بين الجهتين نظرك، وشطِّر إليهما بصرك، حتى تجعل نفسك مترجِّحة بين الرجاء والحِذار، مترنِّحة بين البشارة والإنذار، تُلَمِّظها طوراً حلاوة الطمع إرادة الرغبة والنشاط، وطوراً مرارة الفزع خيفة الاسترسال والانبساط. امزِج اليأس والطمع، والبس الأمن والفزع. لا تَذَرْ من كِلا النفيسين شيئاً ولا تَدَعْ، من يكن يقتنيهما فقد استكمل الورع.

● يا أبا القاسم، للسيِّد سيادتُه، وعلى العبد عبادتُه. ولك سيِّدٌ ما أجلَّه، وأنت عبدٌ ما أذلَّه. فاعبد سيدك الذي كلُّ مَنْ يُسَوَّد فله يسجد، وكل من يُعْبَدُ فإياه يَعْبُد.

● ... نعم يا أبا القاسم، إن سمعتهم يقولون ما أكثر فضلك فقل: إن فضولي أكثر، وما أغرز أدبك فقل: إن قلة أدبي أغزر. فلَعَمْرُ الله ليس بأديبٍ ولا أريبٍ كل مُغْرِبٍ وحافظٍ غريب. الأديب مَنْ أخذ نفسه بآداب الله فهذَّبها، ونقَّح أخلاقه من العُقَد الشائنة فشذَّبها.. إن علماً بلا عمل كقوسٍ بلا وتر، وحاملُها حيرانُ مرتبكٌ في العَماية..

---

(١) أي فكِّر.

● . . . إن صاحبَ الغَزَل والنسيب، ليس له عند الله من نصيب. سُحقاً لِما يجري من القوافي على أَلْسُن المنشدين، ومرحباً بالنفوس القوافي في آثارالمرشِدين. مِنْ أين يفكِّر في الاستهلال والمطلع[1] مَنْ هو منوطُ الفكر بأهوال المَطْلع؟..

● . . . وابسط يديك إلى ذي المنَّة والطَّوْل، وابرأ إليه من القوَّة والحَوْل، وقل وجناحُك من الخشوع خفيض، ودمعُك على الخدَّين يفيض، وحلقك بالبكاء شَرِق، وجبينك من الحياء عَرِق، وصوتُك لا يَكاد يُسْمَع وَجَلاً، ولسانك لا يكاد يَنطق خَجَلاً: يا ربّ قد فضحتُ نفسي بينك وبيني، وقد اطَّلعتَ على عيبي وشَيني.. فلا تفضحني بين خلقك يوم تُبلى السرائر.. واعطف بكرمك على عبدك، فلا خير عنده إلا من عندك، فالمولى الكريم يصفح عن جُرْم العبدِ وذنبه، إنْ عَرَفَ منه الندمَ على ما فرَّط في جنبه.

● يا أبا القاسم، العجبُ منك تعمل أعمالَ الأشرار، وتأمُلُ آمال الأبرار. هكذا أهل الغفلة المتشاخسة[2] وأفعالُهم المتشاكسة.. من يعمل ما يوجب عقوبة قارون، لم يَأْمُلْ مثوبة موسى وهارون.. كم نصيحة نُصِحْت بها فلم يوجد لك قلبٌ واع، ولا سمع راع، كأن أذنك بعض الأقماع، وليست من جنس الأسماع. وكم من عِظَةٍ ضُرب بها وجهُك فوجدْتَها أبرد من جمد، ووجدْتَك أقسى من جلمد.. لا حيَّا الله مثل هذا الوجه الصفيق.

● يا أبا القاسم، إن رداء الوقار والحِلْم، أزينُ ما تعطَّف[3] به ذو العلم. فتحلَّمْ وتوقَّرْ وإن لم يكونا من جدائلك، وتعلَّمها إنْ عُدوا في شمائلك. أولُ ما يُستدلُّ به على عقل الرجل أن تتناسب حركاتُه

---

(١) يقال لأول القصيدة: الاستهلال والمطلع.

(٢) أي المختلفة.

(٣) من المعطف وهو الرداء.

وسكناتُه، وأن تُحمد في مواطن الطيش والنَّزَق طمأنينته وأَنَاتُه. فباشِرْ أكثر الأمور بالتأني والأَوْن[1]، وإذا مشيتَ على الأرض فامشِ الهَوْن.. لا تحملك خِيفةٌ على خِفّة، شبيهَ جبلٍ لا تهزُّ مناكِبَه رَجْفَة.

● يا أبا القاسم، يا أسفى على ما أمضيت من عمرك، في طلب أن يُشاد بذكرك، ويُشار إليك بأصابع نبي عصرك. عَنِيْتَ على ذلك طويلاً، فما أغنيتَ عنك فتيلاً. حسبتَ أن من ظَفِر بذاك فقد استصفى[2] المجد بأغباره[3]، واستوفى الفخر بأصباره.. وقدَّرت أن الشهرة في الدنيا هي الكمال! وما أدراك يا غافل ما الكامل؟ الكامل هو العامل الخامل، والذي هو عند الناس منكور، وهو عند الله مذكور، مجفوٌّ في الأرض ليس له ظهير ولا ناصر.. خَلا أن له في السماء اسماً لا يخفى، وجانباً مرعياً لا يُجْفىٰ...

● يا أبا القاسم أعَجَزْتَ أن تكون مثل همزة الاستفهام؟ إذْ أَخذتْ على ضعفها صدر الكلام؟! ليتك أشبهتها متقدِّماً في الخير مع المتقدمين، ولم تُشبه في تأخُّرك حرف التأنيث والتنوين.. ضارعِ الأبرار بعمل التوَّاب الأوَّاب، فالفعلُ لمضارعته الاسمَ فازَ بالإعراب... وقف لربِّك على العمل الصعب الشديد، كما تقف بنو تميم على التشديد. واثبت على دين الحق الذي لا يتبدَّل ولا يَحُول، ثبات الحركة البنائية التي لا تزول...

---

(١) الأون: الرفق.

(٢) استصفى الشيء: أخذه كله، بأغباره: بأجمعه.

(٣) أي كله.

الباب الثاني

اعلم أن العرب سمّت أشياء عَرَفَتْ ما أرادت بها، فكثرت اليوم في أفواه الناس، وجازت على غير ما قيلت عليه!

● فمن ذلك: «العقيقة». وهي شَعْر الصبي الذي يولد وهو عليه. فيقال: عُقَّ عنه يوم أسبوعه، أي: حُلقت عنه عقيقته، وهي شعر رأسه. ثم قالوا للشاة: عقيقة!!

● ومن ذلك: «الغائط». وهو المطمئن من الأرض. كان الرجل يقول: حتى آتيَ الغائط فأقضي حاجتي. فكثر ذلك في كلامهم، حتى صاروا يقولون: ذهب إلى الغائط، وذهب يضرب الغائط[1].

● ومن ذلك: «اللطم». وهو الضربُ بالكف، وجهاً أو ظهراً، فكثر ذلك في كلامهم، حتى جعلوا اللطم خاصة للوجه دون سائر الجسد.

● ومن ذلك: «الجائزة». وهي أي يُعطي الرجلُ الرجلَ ما يُجيزه ليذهب. يقول الرجل لقيِّم الماء: أَجِزْني، أي: اسقني حتى أجوز وأذهب. فكثر ذلك حتى قيل: جائزة السلطان، لما وهب!

● ومن ذلك: «المأتم». وهو كلُّ مجتمعِ نساءٍ في حزن أو فرح؛ وكذلك الجماعة من الرجال. ثم كثر، حتى خصُّوا به الموت!

● ومن ذلك: «الأسير». وأصلُه: أن يؤخذ الرجل من العدو فيُشَدَّ بالقيد؛ فهذا هو الأسير.

ثم كثر، حتى قالوا لكل مأخوذ: أسير، وإن لم يُشَدَّ ولم يُقَيَّد!

---

(١) ضرب الغائط: قضى حاجته.

● إذا اجتمع للشيء اسمان، فإن العرب تأتي بهما جميعاً، يؤكدون الأول بالآخر، فيجعلونه شبه الصفة له. قال رؤبة بن العجاج:

أغـدو قـريـن الـفـارغ الـسَّـبَـهْـلَـل

والسبهلل: الفارغ!

● والعرب يعلِّقون المعنى من الشيء إلى الشيء هو معه أو فيه، كقول الأعشى:

حـتـى إذا احـتـدمـتْ وصـا ر الـجـمـرُ مـثـلَ تـرابـهـا

يريد: صار ترابُها مثل الجمر من الحرّ!

وقال آخر:

كـأنَّ لـونَ أرضِـه سـمـاؤه

يريد: كأن لون سمائه من غُبرتها لونُ الأرض.

● وربما أرادت العرب أن تذكر الشيء من جسد الإنسان، فتجمعه بما حوله. فمن ذلك قولهم: امرأة ضخمة الأوراك. وإنما لها وَرِكان.

ـ ومنه قولهم: ألقاه في لَهَوات الأسد. وإنما له لَهاة واحدة.

ـ وقولهم: قد شابت مفارق فلان. وإنما له مَفْرِق واحد.

● وربما احتاجت العرب إلى الشيء فتضع غيره مكانه، مما يدل عليه.

فمن ذلك قولهم: أتانا فلانٌ حافياً مشقَّق الأظلاف، إذا كان مشقق القدمين. وإنما الأظلاف للشاء والبقر، فيجعلونه في الناس!

ـ ويقال للرجل: إنه لغليظ المشافر، إذا كان غليظ الشفة، وإنما المشافر للإبل، فاستعملوها في الناس.

- ومنه قولهم: رمى بحبله على غاربه؛ وإنما الغارب للإبل، وهو مقدَّم السنام[١]!

* * *

● قال الحافظ أحمد بن محمد المعروف بأبي طاهر السلفي (ت ٥٧٦ هـ): كان أبو بكر أحمد بن محمد بن حصن الخزرجي البلنسي من كبار كتاب بلنسية. وكان ديناً ورعاً، ومع ديانته وسمعته كان طيب الخُلق كثير المداعبة. سمعته يقول على رأس السُّفرة ونحن نأكل: قال حكيم من الحكماء: يكفيك من الفجل الورق، ومن لحم البقر المرق!

وسمعته يقول: دُعي بعض الأعراب إلى دعوة، وقدمت إليه قصعة فيها عظم كثير ولحم قليل، فقلب العظام وقال: يا وجوه العرب، طبختم قدركم بالشطرنج[٢]!

● وقال: سمعت أبا الحسن طارق بن موسى بن يعيش البلنسي يقول: سمعت الشيخ ابن الحرار - وكان من صلحاء أهل المرية بالأندلس - يقول: كنت بمكة عند فقيه من أصحابنا المالكية، فجلس إلينا رجل لا نعرفه، فإذا ريحه كأنها القطران، فراجعناه في ذلك، فقال بعد تمنُّع: قد كنتُ رجلاً أُبغض أبا بكر وأسبهما، وأتغالى في حب علي، فرأيته ليلة في المنام وكأني ظمآن، فقلت: يا أمير المؤمنين، إني من شيعتك فاسقني. فأشار إلى كوز فشربتُ منه، ولم يكلمني، فأصبحت وأنا على هذه الحالة. فجئت إلى بيت الله الحرام تائباً مما

(١) مقتطفات من كتاب «أبواب مختارة من كتاب ابن السكيت أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الأصبهاني»؛ نسخها وعلق عليها ثم أبرزها عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري - القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٥٠ هـ، ٤٥ ص.

(٢) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي؛ أعدها وحققها إحسان عباس - بيروت: دار الثقافة، ، ١٤٠٥ هـ، ص ٢٨.

كنت عليه؛ وأحب منكم المعاونة بالدعاء، فربما يزيل الله تعالى فيما ما أنا فيه. . فدعونا له، وقام عنا باكياً[1].

● وقال أيضاً: سمعت أبا محمد عبد الله بن تويت بن الوران اللمتوني يقول ـ وجرَّبته، وكان ثقة يتحرَّى الصدق: رأيت بحمص الأندلس امرأة ولدت أول ولادتها ولداً، ثم في المرة الثانية ولدين، وفي الثالثة ثلاثة، وفي الرابعة أربعة، وفي الخامسة خمسة، وفي السادسة ستة، وفي المرة السابعة سبعة في بطن واحد. وأيست من روحها وأشرفت على الهلاك. ثم امتنعت عن زوجها وأبت أن تطاوعه. واشتهر أمرها عند الناس بأقطار الأندلس[2].

● وقال: سمعت أبا عبد الله محمد بن الحسن بن أبي زرارة اللغوي يقول: كان بالمشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد، ولم يكن لهما ثالث، وهما ضريران. فالشرقي أبو العلاء التنوخي بالمعرة، والمغربي ابن سيده الأندلسي. وابن سيده أعلم من المعري، أملى من صدره كتاب «المحكم» ثلاثين مجلداً، وليس في كتب اللغة أحسن منه[3].

* * *

● جاء رجل يخاصم إلى شريح القاضي في سِنَّور، فطلب منه بينة تثبت ذلك، فقال: ما أجد بينةً في سنور ولدت عندنا. فقال شريح: فاذهبوا بها إلى داره، فإن استقرَّت واستمرَّت ودرَّت فهي سنورك، وإن هي اقشعرَّت وازبأرَّت وهرَّت[4] فليست بسنورك[5].

---

(١) المصدر السابق ص ٤١.

(٢) المصدر السابق ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٩.

(٤) ازبأرَّت: نفشت شعرها، وهرَّت: صوتت.

(٥) القضاء والقضاة/ تأليف محمد شهيد أرسلان ـ بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٩ هـ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

في الأندلس كان القاضي «نصر بن ظريف اليحصبي» ولي القضاء زمناً طويلاً، وكان مثلاً في العدل والحق، ومن طرائف مواقفه المشرفة قضية «حبيب القرشي» الذي دخل على الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وشكا إليه القاضي، وقال: إنه يريد أن يسجل ضيعة ادعى الاغتصاب لها، ولاذ بالأمير من إسراع القاضي إلى الحكم من غير تثبت. فأرسل الأمير إلى القاضي وكلمه في حبيب، وطلب منه عدم العجلة عليه، فخرج ابن ظريف من يومه، وعمل بضد ما أراد الأمير وأنفذ الحكم.

وبلغ الخبر حبيباً، فدخل إلى الأمير يتميز غيظاً، وذكر له ما عمله القاضي ووصفه بالاستخفاف بأمره، والنقض له، فغضب الأمير على القاضي واستحضره فقال له:

«من أمرك على أن تنفذ حكماً، وقد أمرتك بتأخيره والإناءة به؟».

فقال:

«أمرني به رسول الله ﷺ، فإنما بعثه الله بالحق، ليقضي به على القريب والبعيد والشريف والدني، وأنت أيها الأمير، ما الذي حملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض، وأنت تجد مندوحة بأن ترضي من مالك من تعنى به وتحد الحق لأجله؟».

فقال له:

«جزاك الله، يا ابن ظريف خيراً».

وخرج القاضي، فدعا بالقوم الذين صارت الضيعة إليهم، وكلمهم فوجدهم راضين ببيعها إن أجزل لهم الثمن، فعقد فيها البيع معهم وصارت إلى حبيب. فكان بعد ذلك يقول: «جزى الله ابن ظريف عنا خيراً، كانت بيدي ضيعة حرام، فجعلها حلالاً».

وكان هذا القاضي من زهده وورعه، إذا شغل عن القضاء يوماً واحداً، لم يأخذ لذلك اليوم أجراً[1].

* * *

● عاتب أعرابي أباه فقال: يا أبت، إن كبرَ حقِّك عليَّ لا يُذهب صغير حقي عليك. والذي تمنُّ به إليَّ أمنُّ به إليك. ولستُ أزعمُ أنَّا سواء، ولكن لا يحلُّ الاعتداء[2]!

● سأل معاويةُ عقبة بن سنان الحارثي: أي المال أفضل؟

قال: يا أمير المؤمنين، نخلةٌ سمراء في تربة غبراء، أو نعجة صفراء في بقعة خضراء، أو عين خرَّارة في أرض خوَّارة.

فقال معاوية: لله أبوك! فأين أنت عن الذهب والفضة؟

قال: وما للعاقل ولهما؟ حجران يصطكّان، إن أقبلتَ عليهما نفدا، وإن تركتهما لم يزدادا[3]!

● قال الحسن البصري: الأيادي ثلاثة:

- بيضاء: وهي الابتداء بالنعمة.

- وخضراء: وهي المكافأة.

- وسوداء: وهي المنُّ بها.

● قال يحيى بن خالد: إذا أحببتَ إنساناً بغير سبب فارجُ خيره، وإذا أبغضتَ إنساناً بغير سبب فتوقَّ شره!

---

(١) تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن النباهي ص ٤٤.

(٢) أسرار البلاغة، لبهاء الدين العاملي (ت ١٠٠٣ هـ) ـ القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣١٧ هـ ـ في ذيل كتابه «المخلاة» ـ ص ٣.

(٣) المصدر السابق ص ٥.

● سأل بعضهم حكيماً: كيف أصبحت؟ قال: أصبحتُ وبي من نعم الله ما لا أحصيه مع كثرة ما أعصيه؛ فما أدري أيهما أشكر: جميل ما ينشر، أم قبيح ما يستر[1]؟

● سئل بعضهم ـ وكان له ثلاثة أولاد ـ أيهم أثقل على قلبك؟

فقال: ما فيهم أثقل من الصغير بعد الكبير إلا الأوسط!

● اشتكت امرأة من زوجها إلى عدي بن أرطاة القاضي لكونه قليل الجماع! فقال القاضي: إني لأستحي للمرأة أن تذكر مثل هذا.

فقالت: ولِمَ لا أرغب أيها القاضي فيما رغبتْ فيه أمك؟ فلعلَّ الله يرزقني ولداً صالحاً مثلك[2]!

● داعب بعض الظرفاء جاراً له كان معروفاً بالبخل قائلاً له: ويل لك يا جاري، منذ عشرين سنة ولم تدعُني إلى بيتك!

قال: معاذ الله أن أفعل ذلك! لأني رأيتك يوماً تأكل فرأيت عجباً!! لأنك تحسن المضغ، وتسرع البلع، وتهيىء لقمة قبل أن تبلع الأخرى، وعينك تراقب أخرى!

فقال له: ما أظنك تريدني إلا أن أصلي بين كل لقمتين ركعتين[3]!

● قال القاضي العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود في ذم غلام له قصيدة، منها:

ما هو عبدٌ كلا ولا ولد ... إلا عناءٌ تضنى به كبد
أقبح ما فيه كله فلقذ ... تساوت الروح فيه والجسد

(١) ما سبق في المصدر السابق ص ٦.
(٢) المصدر السابق ص ١١.
(٣) المصدر السابق ص ١٢.

يشتمني الناس حين يشتمهم إذ ليس يرضى بشتمه أحد
كسلان إلا في الأكل فهو إذا ما حضر الأكلُ جمرةٌ تَقِدُ
أجملُ أوصافه النميمة والـ كذبُ ونقلُ الحديث والحسد[(١)]

● هذان البيتان إذا قُرئا على استوائهما مدحٌ، وإذا عكسا وقرئا كلمة كلمة: هجو!

عدلوا فما (ظلمت) لهم (دول) ثبتوا (فلا) زلَّت (لهم) قدمُ
بذلوا فما (شحت) لهم (شيم) سعدوا (فلا) زالت (لهم) نعمُ[(٢)]

* * *

● من الأشراف الذين قتلوا: عامر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة، المعروف بفطْيَوْن الملك ـ وهو اسم عبراني ـ وكان يهودياً، وكان عزيزاً بيثرب ممتنعاً، وكان يأتي النساء فيعتذرهن قبل أزواجهن! وكانت يثرب قد دانت له. فلم تزل تلك حاله حتى زُوِّجت أخت مالك بن العجلان بن زيد الخزرجي، وهو يومئذ شاب. فلما كان يوم عرسها، وأجلست على منصتها، قامت على المنصة، فخرجت على نادي قومها كاشفة عن ساقها. فلما رآها مالك، وثبت فقال: أي عدوَّة الله، تخرجين على قومك كاشفة عن ساقيك؟! سوءة لك! فقالت: سوءة لك، فالذي يُراد بي أقبح مما صنعتُ، إنه يُذْهَبُ بي إلى غير زوجي فيصيبني! فارتاع مالك وقال: صدقتِ والله، فهل فيكِ خير؟ قال: ينبغي أن يكون الخير عندك.

فلما ذُهب بها، لبس مالك لِبْسةَ النساء، واشتمل على سيف صارم، ودخل مع النساء إلى داخل البيت. فلما خرج النساء، وخلا الفطيون مع المرأة، خرج عليه مالك، فضربه بالسيف حتى بَرَد. وأخذ بيد أخته، فخرج بها مع نسائها.

---

(١) المصدر السابق ص ١٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠.

وتصايحت يهود، وطلبوا مالكاً، فامتنع بقومه، ثم خرج هارباً ومعه عدّة من الأوس والخزرج، حتى قدموا على أبي جُبيلة ملك غسان، فأعلموه غلبةَ يهودَ عليهم وفعلَهم.

فقدم أبو جبيلة بيثرب، واتخذ طعاماً، ودعا إليه أشراف يهود الأوس والخزرج. فلما طَعِموا، جعل يدفع إلى الرجل سيفاً، فيضطربان به، حتى قتل بهذا الفعل مائة من أشراف اليهود. فكان الرجل يقتل أخاه وابن عمه!

ثم انصرف راجعاً إلى الشام، فقويت الأوس والخزرج عليهم[(١)].

● مقتل عنترة العبسي. وكان أغار على بني نبهان، فأطردَ طريدة وهو شيخ كبير، فجعل يطردها ويقول:

حظُّ بني نبهانَ منها الأثلَبُ كأنما آثارها لا تُحْجَبُ[(٢)]
آثارُ ظِلْمانٍ بقاعٍ مُجْدِبِ[(٣)]

وكان وَزَرُ بن جابر بن سدوس النبهاني في مَنْزَه، فرماه وقال: خذها وأنا ابن سَلْمى. فقطع مطاه، فتحامل بالرَّمْيَة حتى أتى أهله، فمات. فقال وهو مجروح:

فإنَّ ابنَ سَلْمى عنده، فاطلبوا دمي وهيهات لا يُرْجَى ابنُ سلمى ولا دمي
يظل يمشّي بين أجبال طيِّئٍ مكان الثُّريَّا ليس بالمتهضِّم[(٤)]

● كان صخر بن الشَّريد السُّلَمي ـ أخو الخنساء ـ غزا بني أسد،

---

(١) أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء/ لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، تحقيق عبد السلام هارون ـ ط ٢ ـ القاهرة: مكتبة مصطفى البابي، ١٣٩٣ هـ ـ (نوادر المخطوطات؛ ٥) ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) الأثلب: التراب والحجارة، وهو كناية عن الخيبة.

(٣) الظلمان: جمع ظليم، وهو الذكر من النعام. والقاع: الأرض المستوية السهلة.

(٤) المصدر السابق ص ٢١٠.

وأصاب غنائم وسَبْياً، وأن أبا ثور بن ربيعة الأسدي طعن صخراً وعليه الدرع، فدخلت حلقة من حلقات الدرع بطن صخر، فتحامل بالطعنة، وفات بني أسد، فجوى منها، وكان تمرَّض قريباً من سنة، حتى ملَّه أهله. فسمع امرأة وهي تسأل زوجته سلمى: كيف بعلك؟ قالت: لا حيٌّ فيُرجىٰ، ولا ميِّتٌ فيُنعىٰ، لقينا منه الأمرَّين.

فلما سمع منها ذلك قال:

أرى أمَّ صخرٍ ما تملُّ عيادتي ... ومَلَّتْ سُلَيْمىٰ مضجعي ومكاني
فأي امرىءٍ ساوى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاشَ إلا في شقىً وهوان
لعمري لقد نبهتِ من كان نائماً ... وأسمعتِ من كان له أذنان

فلما طال عليه البلاء والمرض، وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اللِّبِد في موضع الطعنة، قالوا: لو قطعتَها رجونا أن تبرأ منها. فقال: شأنكم! وأشفق عليه بعضهم فنهاه، فقال: الموتُ أهونُ علي مما أنا فيه!

فاحمَوْا له شفرةً فقطعوها، فيئس من نفسه.

وسمع أختَه الخنساء تسأل: كيف كان صبره عندما قطعوا منه تلك القطعة من اللحم؟ فقال:

أجارتنا إن الخطوب تُريبُ ... علينا، وكلُّ المخطئين تُصيب
فإن تسأليني كيف صبري فإنني ... صبورٌ على ريب الزمان أريب
كأني وقد أدنَوْا لحَزٍّ شِفَارَهَم ... من الصبر دامي الصفحتين رَكُوب
أجارنا لستُ الغداةَ بظاعنٍ ... ولكن مقيمٌ ما أقام عسيبَ[1]

فمات، فدفن هناك.

* * *

---

(١) ظاعن: مقيم. عسيب: جبل بقرب المدينة، وقد دفن هناك. المصدر السابق ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

● أين تلبس الذكران برقع النسوان، وتبرز ربات الجمال بعمائم الرجال؟

جوابه: باب العدد من الثلاثة إلى العشرة، تثبت التاء فيه في المذكر، وتحذف في المؤنث[1]!

● أخبرني عن مكبَّر يُحْسَبُ مصغَّراً، وعن مصغَّر يُحسب مكبَّراً!

الأول: سكِّيت، يحسبه من ليس بنحوي مصغَّراً وهو خطأ ظاهر، لأن التصغير لا تقع إلا ثالثة. بل سكِّيت مكبَّر. وسكَيت - بالتخفيف - مصغَّرة تصغير الترخيم[2].

● أخبرني عن مصغر ليس له تكبير!

من الأسماء ما وضع على التصغير ليس له مكبر، نحو: كُميت وكُعيت..[3].

● أخبرني عن حرف يُدْغَمُ في أخيه ولا يُدْغَمُ أخوه فيه!

هو اللام، تدغم في الراء، ولا تدغم الراء فيها.

● أخبرني عن اسم من أسماء العقلاء لا يُجمع إلا بالألف والتاء!

هو طلحة [جمعه طلحات].

● أخبرني عن مكبَّر ومصغَّر، هما في اللفظ مؤتلفان، ولكنهما في النية والتقدير مختلفان!

مُبيطِر ومُسيطِر، إن صغرتهما قلت: مُبيطِر ومُسيطِر، على لفظ التكبير سواء[4]!

---

(١) الألغاز النحوية: وهو الفن الخامس من فنون الأشباه والنظائر/ للسيوطي؛ جمعها وحققها طه عبد الرؤوف سعد - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨ هـ، ص ٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٠.

(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق ص ١٤.

● أخبرني عن مذكر لا يجمع إلا بالألف والتاء، وعن مؤنث يجمع بالواو والنون من غير العقلاء!

الأول نحو: سرادق وحمَّام [جمعها: سرادقات وحمَّامات].

والثاني: سنة وأرض [جمعها: سنون وأَرَضُون][1].

● قال الشاعر المشهور يحيى بن يوسف الصرصري ملغزاً في حرف الكاف:

وحرف من حروف الخط ليست ... علامتُه على العلماء تخفى
يكون اسماً من الأسماء طوراً ... وطوراً في الحروف يكون حرفا
تراه يَقْدُم الأسماء طرّاً ... ويُمنع من مشابهة ويُنفى
يصير أمامها ما دام حرفاً ... وإن سميته فيصير خلفا
وقد تلقاه بين اسم وفعلٍ ... قد اكتنفاه كالإبريق لطفا[2]!

● ما حرفٌ قلبه اسم كريم؟

«نعم». فإن قلبها «معن» وهو اسم لرجل مشهور بالكرم: معن بن زائدة.

● أي كلمة هي اسم وفعل وحرف لم ينبه عليها أحد من علماء النحو والصرف؟

«بلى». فإنها حرف جواب، وفعل بمعنى اختبر، واسم!

● أي فعل ليس له فاعل؟

«قلما» و «طالما»!

● أي فاعل يجب جرُّه؟

نحو: «أكرم بزيد»[3].

(١) المصدر السابق ص ١٥.
(٢) المصدر السابق ص ٣٥.
(٣) انظر ما سبق في المصدر السابق ص ٣٦ ـ ٣٨.

● ما الحرف الذي يرفع الوضيع، ويضع الرفيع؟!

هو لام الابتداء، إذا دخلت على الفعل المستقبل ارتفع لشبه الأسم وأُعرب، وإذا دخلت على «ظننت» وأخواتها تمنعها العمل وتضعها عن منصبها[1]!

● أي شيء إن نفيته وجب، وإن أوجبته سلب؟!

هو «كاد»[2]!

* * *

● الكفُّ: سميت كفاً لأنها تكفُّ على الأشياء، أي تجمعها.

وفي الكف: الراحة، وهي باطنُها.

والألْيَةُ: اللَّحْمَةُ الَّتي في أَصْلِ الإِبْهام.

والضَّرَّةُ: ما تَحْتَ الخِنْصِرِ منْ باطِنِ الكَفِّ إلى حَدِّ الرُّسْغِ.

والأسِرَّةُ: الخُطُوطُ الَّتي في باطنها، والوَاحِدُ سَرَرٌ، والجَمْعُ أَسْرارٌ أَيْضاً.

والأَصَابِعُ: الواحِدَةُ إِصْبَعٌ، وهِيَ الإِبْهامُ، ثُمَّ السَّبَّابَةُ، ثُمَّ الوسْطَى، ثُمَّ البِنْصِرُ، ثُمَّ الخِنْصِرُ.

ويُقالُ لِمَا بَيْنَ كُلِّ إصْبَعَيْنِ: فَوْتٌ.

ولِلْفَوْتِ بَيْنَ الإِبْهامِ والسَّبَّابَةِ: الفِتْرُ.

والعَتَبُ: ما بَيْنَ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى.

والرَّتَبُ ما بَيْنَ الوُسْطَى والبِنْصِرِ.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) المصدر السابق ص ٣٩.

والبُصْمُ: ما بَيْنَ البِنْصِرِ والخِنْصِرِ.

والعَظْمُ بَيْنَ كُلِّ مَفصِلَيْنِ منَ الأصَابعِ يُسَمَّى سُلاَمَى، والجَمْعُ سُلاَمَيَاتٌ.

والرَّوَاجِبُ: ظُهورُ السُّلاَمَياتِ، واحِدَتُها رَاجِبَةٌ.

والبَرَاجِمُ: مُلْتَقَى رُؤوسِ السُّلاَمَيَاتِ من ظَهْرِ الكَفِّ، إِذَا قَبَضَ الإِنْسَانُ كَفَّهُ ارْتَفَعَتْ، واحِدَتُها بُرْجُمَةٌ.

والأَشَاجِعُ: العَصَبَاتُ الَّتي عَلى ظَهْرِ الكَفِّ، واحِدَتُها أَشْجَعٌ.

والنُّقْرَةُ الَّتي في أَصْلِ الإِبْهامِ: القَلْتُ.

والأنامِلُ: مُنْتَهَى المَفَاصِلِ الأَوَائِلِ منْ كُلِّ إِصْبَعٍ منَ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ، الواحِدَةُ أُنْمُلَةٌ.

والأُطَرُ: الواحِدَةُ أُطْرَةٌ، وإِطَارٌ وجَمْعُهُ أُطُرٌ، وَهِيَ أَكِفَّةُ الأَظْفَارِ.

والوَتَرَاتُ: الَّتي تُحِيطُ بأُصُولِها. ويُقالُ لَها: الأَكَالِيلُ، واحِدُها إِكْلِيلٌ.

ويُقالُ: ظُفرٌ وأُظْفورٌ.

والنُّقَطُ البيضُ الَّتي تَكونُ عَلى الظُّفرِ: الوَبْشُ والفُوفُ.

والوَسَخُ الَّذي يَكُونُ تَحْتَ الظُّفرِ: التُّفُّ والرُّفْغُ.

وما يُقْطَعُ منَ الأَظْفَارِ: القُلاَمَةُ والفَسِيطُ؛ فَسَطَ ظُفْرَهُ، إِذَا قَلَّمَهُ.

ولَحْمُ الكَفِّ والقَدَمِ: البَخَصُ.

والنَّاقُ الغرُّ: الَّذي بَيْنَ أَلْيَةِ الإِبْهامِ وضَرَّةِ الخِنْصِرِ[١].

● نتن الريح: التَّفَل: نتن ريح المرأة.

---

(١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء/ لأبي هلال العسكري؛ عني بتحقيقه عزة حسن ـ ط ٢ ـ دمشق: مجمع اللغة العربية؛ بيروت: دار صادر، ١٤١٣ هـ، ١/ ٥٧ ـ ٥٩.

والذَّفَر: الريح المنتنة تجدها من الإنسان.

وعَرَصَ البيتُ: إذا خَبُثَت ريحه.

والصِّيقُ: الريح المنتنة، وهي في الدواب خاصة[١].

● الضحك: إذا ضحك حتى تبدو أسنانه واشتدَّ ضحكه قيل: كَرْكَر.

فإذا أفرط قيل: استغرب.

والقهقهة أن يُسْمَعَ صوتُ الضحك[٢].

● يقال للنمل: الحَثْو.

والجَثْلة: النملة الكبيرة.

والفازِر: النملة فيه حمرة.

والسِّمْسِمة: النملة الحمراء أيضاً.

والدُّعاعة: نملة سوداء ذات جناحين.

والذَّمَّة: النملة الصغيرة[٣].

● البتَّات: الذي يبيع البَتَّ، وهو الكساء الغليظ.

والرَّحَّاض: الذي يغسل الأَكسية والثياب.

والآسي: الذي يداوي الجراحات.

والهَدَّاب: الذي يفتل أهداب الأُزُر.

واللَّوَّاء: الذي يعالج اللَّوى، وهو داء يأخذ الصبيان.

واللَّئَّاء: الذي يبيع اللؤلؤ[٤].

● من أسماء ملاعب الصبيان:

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٣٤.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٥٧.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٦٨٢ ـ ٦٨٣.

المفايلة: أن يجمعوا تراباً، ويخبِّؤوا فيه خبيئاً، فمن أخرجه فقد غَلَب.

القلاَّعة: التي يُحْذَف بها الحجارة.

الأُنْبُوثة: يَحْفِرون حَفِيرة ويَدْفِنون فيها شيئاً، فمن استخرجه فقد غَلَب.

السُّذو: أن يحفروا حفيرة يرمون إليها بالجَوْز.

المِخْراق: ثوب يُفْتَل، يتلاعب به الصبيان.

البَوْصاء: هو أن يجعل ناراً في رأس عمود ويديره.

الحاجورة: أن يخطَّ الصبيُّ خطاً مستديراً، ويقف الصبيُّ فيه، ويحيط الصبيان به ليأخذوه.

الماقِط: الذي يضرب بالكرة على الحائط، ثم يأخذها[١].

● يقال لمن به بول: حاقن.

ولمن به بطن: حاقب.

ولمن به بول وبطن: حاقم.

ولمن ضاق برجله الخُفّ: حاقف[٢].

* * *

● لما حاصر تُبَّع الأكبر مدينة نينوى مدة تزيد على سبع سنين - كما ذكروا - لم يفسد شيئاً من أرضهم، ولا قطع شيئاً من أشجارهم، إلا أنه أمر بغرس النَّوى، إلى أن أكلوا منه الرطب، ثم افتتح المدينة بالأمان، ثم رحل عنهم من غير ظلم ولا عدوان، ولم يخرِّب شيئاً من العمران في طول مدة الحصار وكثرة العسكر الجرار، وإنما زاد في

(١) المصدر السابق ٢/ ٧١٨ - ٧٢٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٧٤٦.

العمارة، رفقاً بالرعية وإن تمادت القضية...[1].

● ذُكر في سيرة أنو شروان ـ صاحب الإيوان المشهور ـ أنه لما عمَّر الإيوان، اضطُرَّ في إتمام أحد جوانبه إلى مكان لعجوز ترعى الغنم، فلم يجبرها على بيعه ولم يهدمه، بل تركه بحاله، وكانت تحضر بغنمها من المرعى وتمرُّ من وسط الإيوان إلى أن تدخل إلى مكانها[2]!

● قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان: صف لي الأحنف بن قيس. فقال: يا أمير المؤمنين، إن شئت أخبرتك عنه بثلاث، وإن شئت باثنين، وإن شئت بواحدة.

قال: فأخبرني عنه بثلاث.

قال: كان لا يحرص، ولا يجهل، ولا يدفع الحق إذا نزل به.

قال: أخبرني عنه باثنين.

قال: كان يؤثر الخير، ويتوقَّى الشر.

قال: أخبرني عنه بواحدة.

قال: كان أعظم الناس سلطاناً على نفسه[3].

● يروى أن إماماً كان لا ينصرف من مصلاه إلا بعد أن يتغنى بهذه الأبيات، يعظ بها نفسه:

وفؤادٌ كلما نبهتُه ... مرَّ في اللذات يبغي تعبي
ما أراه الدهر إلا لاهياً ... في تماديه فقد برح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا ... فَنِيَ العمر كذا في اللعب
وشبابٌ بان مني ومضى ... قبل أن أقضي منه أَرَبي
ما أرجّى بعده إلا الفنا ... ضيَّقَ الموتُ عليَّ مذهبي

(١) التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار/تأليف محمد بن محمد بن خليل الأسدي (ق ٩ هـ)؛ تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٨٨ هـ ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق ص ٥٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٧.

نفسُ لا كنتِ ولا كان الهوى راقبي المولىٰ وخافي وارهبي[١]

● أمر كسرى أنو شروان أن يكتب على لوح من الجوهر الأخضر بالذهب الأحمر، ويُجعل تجاه وجهه في الإيوان، هذه الكلمات: الملك بالأعوان، والأعوان بالمال، والمال بالخَراج، والخَراج بالرعية، والرعية بالعمارة، والعمارة بالعدل.

وأوصى أن يكتب ذلك على قبره بعد وفاته[٢]!

● قال بعض العلماء: الدنيا بستان، وينبت بخمسة أشياء: علم العلماء، وعدل الأمراء، وعبادة العباد، وأمانة التجار، ونصيحة المجرِّبين.

فجاء إبليس بخمسة أشياء، فأقام بإزاء هذه الخمس: جاء بالحسد فأركزه بإزاء العبادة، وجاء بالجَوْر فأركزه بإزاء العدل، وجاء بالرياء فأركزه بإزاء العبادة، وجاء بالخيانة فأركزها بإزاء الأمانة، وجاء بالغش فأركزه بإزاء النصحية[٣].

* * *

● دخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز، وعند سليمان جارية له يقال لها البدر، من أحسن الجوري وجهاً وأكمله. فقال سليمان لخلف: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأت عيناي جارية قطُّ أحسنَ منها. فقال: خذ بيدها. فقال خلف: ما كنت لأفعل، ولا أسلُبها الأمير وقد عرفتُ عُجْبَه بها. فقال: خذها ويحك على عجبي بها، ليعلم هواي أني له غالب.

فأخذ بيدها، وخرج وهو يقول:

(١) المصدر السابق ص ١٥٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق ص ١٦١.

لقد حَبَاني وأعطاني وفضَّلني عن غير مسألة مني سليمانُ
أعطاني البدر خَوْداً في مجاسدها والبدرُ لم يُعْطَه إنسٌ ولا جان[1]
ولستُ حقاً بناسي عُرْفِه أبداً حتى يغيِّبني لحدٌ وأكفان[2]

● من مخاطر النظر ما أورده الفضل بن عاصم المنقري قال: بينا رجلٌ يطوف بالكعبة، إذا بَصُر بامرأة ذات جمال وقوام، فأفتنته وشغلت قلبه، فأنشأ يقول:

ما كنت أحسب أن الحبَّ يَعْرِضُ لي عند الطواف ببيت الله ذي السِّتر
حتى ابتُليت فصار القلبُ مختبلاً من حب جارية حوراء كالقمر
يا ليتني لم أكن عانيت صورتَها لله ماذا توخَّاني به بصري[3]؟!

● نزل السري بن دينار في دار بمصر، كانت فيه امرأة جميلة تفتن الناس بجمالها، فعلمت المرأة، فقالت: لأفتننَّه! فلما دخل من باب الدرب كشفت وأظهرت نفسها، فقال السري: ما لكِ؟ قالت: هل لك في فراش وطيٍّ وعيشٍ رخيٍّ؟

فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي معاص نال منهنَّ لذَّةً ومات فخلاَّها، وذاق الدواهيا
تَصَرَّمُ لذَّاتُ المعاصي وتنقضي وتبقى تِباعات المعاصي كما هيَ[4]

● كان بالمدينة رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف، وكان شاعراً، وكان عنده ابنة عم، وكان كثير العشق لها.. فأفقر، وضاق ضيقة شديدة. وأراد المسير إلى هشام بن عبد الملك في الرصافة، فمنعه من ذلك ما كان يجد بامرأته، وكره فراقها. فقالت له يوماً وقد

---

(١) الخود: الجميلة الشابة.

(٢) ذم الهوى/ لابن الجوزي؛ بتحقيق مصطفى عبد الواحد؛ مراجعة محمد الغزالي - القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨١ هـ، ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق ص ٩٤.

(٤) المصدر السابق ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

بلغ منها الضيق: يا ابن عم، ألا تأتي الخليفة، لعل الله تعالى أن يقسم لك منه رزقاً فيكشف به بعض ما نحن فيه؟ فلما سمع ذلك منها نشط للخروج، فتجهَّز ومضى، حتى إذا كان من الرصافة على أميال، خطر ذكرُها بقلبه وتمثَّلت له: فلبث ساعة شبيهاً بالمغمى عليه. ثم أفاق، فقال للجمَّال: احبس. فحبس إبله، فأنشأ يقول:

بينما نحن من بَلاكِثَ فالقا ع سراعاً والعِيس تهوي هويَّا
خطرتْ خطرةٌ على القلب من ذكـ ـراك وَهْناً فما أطقتُ مضيَّا
قلت لبيك إذ دعاني لك الشو ق وللحادِيَيْن رُدَّا المَطيَّا

ثم قال للجمَّال: ارجع بنا، فقال له: سبحان الله! قد بلغت، وهذه أبيات الرصافة؟!

فقال: والله لا تخطو خطوة إلا راجعة!

فرجع، حتى إذا كان من المدينة على قدر مِيل، لقيه بعض بني عمه، فأخبره أن امرأته قد توفيت! فشهق شهقة، وسقط عن ظهر البعير ميتاً[1]!!

● قال موسى بن علقمة المكي: كان عندنا ها هنا نَخَّاس، وكانت له جارية، وكان يوصف من جمالها وكمالها أمر عجيب، وكان يخرجها أيام الموسم، وكان يُبْذَل [له] فيها الرغائب فيمتنع عن بيعها، ويطلب الزيادة في ثمنها.

فما زال بذلك حيناً، وتسامع بها أهل الأمصار، فكانوا يحجون عمداً للنظر إليها(!).

قال: وكان عندنا فتى من النساك قد نزع إلينا من بلده، وكان مجاوراً عندنا، فرأى الجارية يوماً في أيام العرض لها، فوقعت في نفسه، وكان يجيء طوال أيام العرض ينظر إليها وينصرف، فلما حُجبت

(١) المصدر السابق ص ٥١١ ـ ٥١٢.

أحزنه ذلك وأمرضه مرضاً شديداً، وجعل يذوب جسمه وينحل واعتزل الناس، فكان يقاسي البلاء طول سنته إلى أيام الموسم، فإذا خرجت الجارية إلى العرض خرج فنظر إليها فسكن ما به، حتى تحجب.

فبقي على ذلك سنين يَنْحل ويذوب، ولم أزل به وألحُّ عليه، إلى أن حدثني بحديثه وما يقاسيه، وسأل أن لا أُذيع عليه ذلك، ولا يسمع به أحد.

فرحمته لما يقاسي وما صار إليه، فدخلتُ إلى مولى الجارية ولم أزل أحادثه إلى أن خرجت إليه بحديث الفتى وما يقاسي، وما صار إليه، وأنه صار على حالة الموت.

فقال: قم بنا إليه حتى أشاهده وأنظر حاله. فقمنا جميعاً، ودخلنا عليه، فلما دخل مولى الجارية، ورآه وشاهد ما هو عليه لم يتمالك أن رجع إلى داره، فأخرج ثياباً حسنة سرِيّة، وقال: أصلحوا فلانة، ولبِّسوها هذه الثياب، واصنعوا ما تصنعون بها أيام الموسم، ففعلوا بها ذلك، فأخذ بيدها وأخرجها إلى السوق، ونادى في الناس فاجتمعوا، فقال: معاشر الناس، اشهدوا أني قد وهبتُ جاريتي فلانة لهذا وما عليها، ابتغاء ما عند الله.

ثم قال للفتى: تسلَّم هذه الجارية فهي هدية مني إليك بما عليها.

فجعل الناس يَعْذلونه ويقولون: ويحك، ما صنعت، قد بُذِل لك فيها الرغائب فلم تَبِعْها، ووهبتها لهذا!

فقال: إليكم عني، فإني أحيَيْت كل من على وجه الأرض. قال الله تعالى: **﴿ومن أحيَاها فكأنما أحيا الناسَ جميعاً﴾**[1].

* * *

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢. المصدر السابق ص ٦١٨ ـ ٦١٩.

● قال رجل للحسن البصري رحمه الله: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟

فقال: أُغَيْلِمَةٌ إن فهمناهم لم يفهموا، وإن علمناهم لم يعلموا، قل: تركَ أباه وأخاه.

فقال له: فما لأباه وأخاه؟

فقال الحسن: قل: لأبيه ولأخيه!

قال: أرى كلما تابعتك خالفتني[1]!

● كان ابن الرومي أقرع الرأس، وقد أخبر بعلَّة ذلك في قوله:

تعمَّمتُ إحصاناً لرأسي برهةً   من القرِّ يوماً والحرور إذا سفعْ
فلما دعا طول التعمم لُمَّتي   فأزرى بها بعد الأصالة والقرعْ
عزمت عليَّ لبس العِمامة حيلةً   لتستر ما جرت عليَّ من الصلعْ
فيا لك من جانٍ جنايةً   جعلت إليه من جنايته القرعْ
وأعجبُ شيء كان دائي جعلتُه   دوائي على عهدٍ، وأعجب بأن نفعْ[2]

● كان رجل حفاراً للقبور، فمات، فمرت به امرأة فقالت: أما علمت أنه من حفر حفرة لأخيه يسقط فيها[3]؟!

● قيل لطفيلي: كم اثنين في اثنين؟

قال: أربعة أرغفة[4]!

---

(١) ذيل زهر الآداب، أو، جمع الجواهر في المُلح والنوادر/ لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ)؛ مصدر بكلمة من قلم عبد العزيز البشري ـ القاهرة: محمد أمين الخانجي، ١٣٥٣ هـ، ص ٨.
وقد سبق أن عرضت مقتطفات من جزء محقق منه في كتابي السابق «نوادر الكتب»، وهنا عرض للجزء الباقي.

(٢) المصدر السابق ص ١٤.

(٣) المصدر السابق ص ١٤.

(٤) المصدر السابق ص ٥٤.

● أشعب المشهور بالتطفل هو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير. وكان أحلى الناس مفاكهة. وكان قد نشأ في حجر عائشة بن عثمان بن عفان رضي الله عنه مع أبي الزناد. وقد أسلمته عائشة إلى من يعلمه البَزَّ، فسألته بعد سنة: أين بلغت؟ قال: نصف العمل وبقي نصفه!

قالت له: كيف؟

قال: تعلمت النشر، وبقي الطي!

وقد نسك أشعب في آخر عمره، ومات على ذلك رحمه الله تعالى[١].

● قيل لأشعب: أرأيتَ أطمع منك؟

قال: نعم، كلبة آل بني فلان رأت شخصاً يمضغ علكاً، فتبعته فرسخاً تظن أنه يرمي لها بشيء من الخبز[٢]!

● مرَّ أشعب برجل يعمل طبقاً من الخيزران، فقال له: أريد أن تزيد فيها طوقاً أو طوقين.

قال: فما فائدتك؟

قال: لعل أحداً من أشراف المدينة يهدي لنا فيه شيئاً[٣]!

● غاضبت مصعبَ بن الزبير زوجُه عائشة بنت طلحة، فاشتد ذلك عليه، وشكا أمره إلى خاصته، فقال له أشعب: فما لي إذا هي كلمتك؟

قال: عشرة آلاف درهم!

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٢) المصدر السابق ص ٥٥.
(٣) المصدر السابق ص ٥٥.

فأتى أشعب إليها فقال: يا ابنة عم رسول الله ﷺ، تفضلي بكلام الأمير، فقد استشفع بي عندك وأجزل لي العطية إن أنتِ كلمتِه.

قالت: لا سبيل إلى ذلك يا أشعب. وانتهرته.

فقال: جُعلت فداك، كلِّميه حتى أقبض عشرة آلاف درهم، ثم ارجعي إلى ما عودك الله من سوء الخُلق!

فضحكت، فقامت فصالحته[1]!

● عمل محمد بن يحيى بن خالد البرمكي وليمة، وأمر الطباخ أن يجعل الباذنجان في جميع الطعام، وحضر من بين المدعوين «أبو الحارث» الذي كان يكره الباذنجان كراهية شديدة، فكلما قُدِّم لونٌ من ألوان الطعام وهَمَّ بالأكل مَنَعَهُ ما يراه من الباذنجان، إلى أن ضاق! فأقبل يأكل من طرف المائدة، فعطش، فقال: أسقوني ماءً لا باذنجان فيه[2]!

● كان أبو الحسن أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر فلم يُحسن، وكَّلَ به من يمضي معه إلى الجامع، فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعة! فتحاماه الشعراء. فأتاه الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل، فأنشده:

أردنا في أبي حَسَنٍ مديحاً ... كما بالمدح تنتجع الولاةُ
فقلنا أكرمُ الثقلين طرّاً ... ومِنْ كفَّاه دِجلة والفراتُ
فقالوا يَقْبَلُ المَدَحاتِ لكنْ ... جوائزه إلى الناس الصَّلاةُ
فقلت لهم: وما تغني صَلاتي ... عيالي؟ إنما الشأنُ الزكاةُ
فأما إذ أبى إلا صَلاتي ... وعاقتني الهمومُ الشاغلاتُ
فيأمر لي بكسر الصاد منها ... لعلي أن تنشطني الصِّلاتُ[3]!

---

(١) المصدر السابق ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) المصدر السابق ص ٦٣.

(٣) المصدر السابق ص ٦٣.

● دخل رجل على المتوكل فقال له: ما اسمك؟ قال: قطان. قال: وما صناعتك؟ قال: حمدان. قال: لعل اسمك حمدان وصناعتك قطان؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ولكني دُهشت لهيبتك[1]!

● أبو العبر ومحمد بن حكيم الكنتجي كانا يتعمدان المقلوب رقاعة ومجانة. وأبو العبر هو الذي كتب لبعض أصحابه: أما قبل، فاحكم بنيانك على الرمل، واحبس الماء في الهواء، حتى يغرق الناس من العطش، فإنك إذا فعلتَ ذلك أمرتُ لك كل يوم بسبعة آلاف درهم، ينقص كل درهم سبعة دوانيق! وكتب: يوم إلا تسعاً لخمس وأربعين ليلة خلت من شهر ربيع الأوسط سنة عشرين إلا مائتين!

وله مثل هذا كثير من منظوم ومنثور، وهو القائل:

يا من رمى قلبي فعرقب أذنه   فشممت منه حموضة الكتان!

وقال أبو العبر: كنا نختلف ونحن أحداث إلى رجل يعلمنا الهزل، فكان يقول: أول ما تريدون قلب الأشياء تقولون للرجل إذا أصبح: كيف أمسيت؟ وإذا أمسى: كيف أصبحت[2]؟

● سأل هارونُ الرشيد أحد المغفلين: كيف بصرك في الحكم؟

قال: البهائم يا أمير المؤمنين والناس عندي سواء! ولو وجب الحكم على بهيمة وكانت أمي أو أختي لحددتُها ولم تأخذني في الله لومة لائم[3].

● كان مقاتل بن حسان على قضاء البصرة، فسأله رجل عن مسألة، فقال: لا أعرف الجواب.

فقال: أنت قاضٍ ولا تُحسن المسألة؟!

---

(١) المصدر السابق ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق ص ٦٦.

(٣) المصدر السابق ص ٧٣.

قال: نعم! لأن الثور أعظم من الحمار ولا يحسن أن يركض ركض الحمار!

قال: أيها القاضي، فهذا مثلك؟

قال: بل هذا مثلي ومثلك.

قال: فأيهما أنت؟

قال: أنبلهما وأعظمهما ـ يعني الثور ـ[١]!

● دخل أبو دلامة يوماً على أبي جعفر المنصور فأنشده:

إنـــي رأيـــتـــك فـــي الـــمـــنـــا م وأنـــت تـــعـــطـــيـــنـــي خـــيـــاره
مـــمـــلـــوءة بـــدراهـــم وعـــلـــيـــك تـــأويـــل الـــعـــبـــاره

فقال له المنصور: امضِ فأتني بخيارة أملؤها لك دراهم.

فمضى، فأتى بأعظم دباءة توجد، فقال: ما هذا؟

قال: يلزمني الطلاق إن كنتُ رأيتُ إلا دباءة ولكني نسيت، فلما رأيت الدباءة في السوق ذكرتها[٢]!

● كتب ابن الكلبي صاحب الخبر (أي المُخبر) إلى المتوكل، أن المعروف بابن المغربي القائد، اجتاز البارحة بالجسر سكران، فشخر ونخر، وبربر وزمجر وجرجر، وبأبأ بفيه، وخرق الشريحة، ومرَّ منصلتاً وقال: أنا الكركدن فاعرفوني!

فضحك المتوكل حتى استلقى وقال: قد عرفنا ما كتب به إلا حرفاً واحداً فعليَّ به!

فلما جاء قال: ما معنى قولك: بأبأ بفيه؟

---

(١) المصدر السابق ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق ص ٨٢.

قال: يا مولاي لما توسط الجسر قال بفيه: بب بب.

فقال المتوكل: انصرف في غير حفظ الله[1]!

● قال سفيان بن عيينة وقد رأى إسماعيل بن جامع السهمي وعليه بَزَّة وأثواب حِسان: لقد أثرى هذا الفتى فعلامَ يُحيَّا ويُعطىٰ؟

قالوا: إنه يغني هؤلاء الملوك.

قال: بماذا يغنيهم؟ أتحفظون شيئاً مما يقول؟

فأنشده بعضهم:

أطوف نهاري مع الطائفين وأرفع من مئزري المسبل

قال: أحسن، ثم ماذا؟ فأنشدوه:

وأسجدُ بالليل حتى الصباح وأتلو من المحكم المُنْزَل

قال: أجاد والله، ثم ماذا؟ فأنشدوه:

عسى فارج الكَرْب عن يوسف يُسَخِّرُ لي ربَّةَ المحمل

فقال: آه آه آه أمسك عليك، اللهم لا تسخِّرها له[2]!

● هاج بأبي علقمة النحوي دمٌ، فأتوه بحجَّام، فقال له: اشدد قصب المحاجم، وأرهف ظبا المشارط، وأسرع الوضع، وعجِّل النزع، وليكن شرطك وخزاً، ومصُّك نهزاً، ولا تكرهنَّ نابياً، ولا تردنَّ آتياً.

فقال الحجام: ابعث خلف عمرو بن معد يكرب، وأما أنا فلا طاقة لي بالحرب.

وهاج به مرة، فسقط، فأقبل قوم يعضون إبهامه، ويؤذنون في

---

(١) المصدر السابق ص ٩٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٠١.

أذنه، فقام من غمرات غشيته فقال: ما لكم تتكأكؤون عليَّ كتكأكئكم على ذي جِنَّة؟ افرنقعوا عني! فقال بعضهم: اتركوه! فإن جنِّيته تتكلم الهندية[1]!

● دخل أبو خالد يزيد المهلبي على المعتمد مرات، فأنشده قصائد على الدال، فقال: يا يزيد ما أراك تعدو قافية الدال؟

فقال: وكيف أعزَّك الله يا أمير المؤمنين واسمي يزيد، وأبي محمد، وأكنى بأبي خالد، وأنت المعتمد، وتسمى بأحمد، ومن صفاتك السيد والماجد والجواد، فأين أدع الدال[2]؟

● قيل لمغفلٍ: قد غلا الدقيق.

فقال: وما أبالي! إني أشتري الخبز من السوق[3]!

● ورث حيان بن غضبان العجلي نصف دار أبيه، فقال: أريد أن أبيع نصف حصتي من الدار وأشتري الباقي، فتصير الدار كلها لي[4]!

● كان جعيفران الموسوس يماشي رجلاً من إخوانه على قارعة الطريق، فدفع الرجل جعيفران على كلب، فقال: ما هذا؟ قال: أردتُ أن أقرنك به! قال: فمع من أنا منذ الغداة[5]؟!

● دخل على أبي سعيد الحربي اللصوص. فأخذوا كلَّ ما في داره. فلما مضوا حمل أبو سعيد البارية ومضى في أثرهم. فنظر إليه أحدهم فقال: أي شيء تصنع معنا؟ قال: نطلب بيتاً نتحول فيه بمرة!

فضحك اللصوص وردوا عليه ما أخذوه منه[6]!

---

(١) المصدر السابق ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩.

(٣) المصدر السابق ص ١٣١.

(٤) المصدر السابق ص ١٣١.

(٥) المصدر السابق ص ١٥٣.

(٦) المصدر السابق ص ١٥٩.

• قال كشاجم لعيسى بن نوح الطبيب النصراني:

عيسى الطبيب ترفَّق ... فأنت طوفان نوح
يأبى علاجُك إلا ... فراق جسمٍ لروح
شتان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيح
هذاك محيي ميتٍ ... وذا مميتُ صحيح[1]!

• سأل أحدهم الشعبي: ما تقول في رجل شتمني في أول يوم من شهر رمضان؟ أتراه يؤجر؟

قال: إن قال لك يا أحمق رجوتُ له ذلك[2].

• كان معاوية بن مروان ـ أخو عبد الملك ـ مغفلاً، فبينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان، إذ نظر إلى حمار يدور بالرحى وفي عنقه جلجل. فقال للطحان: لِمَ جعلتَ في عنق الحمار جلجلاً؟ قال: لربما أدركتني نعسةٌ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمتُ بأنه قد قام فصحتُ به. فقال له معاوية: أرأيت إن قام وقال برأسه هكذا وهكذا ـ وحرَّك رأسه ـ ما علمُكَ أنه قائم؟! فقال الطحان: ومَنْ لحماري بمثل عقل الأمير أعزَّه الله تعالى؟!

* * *

• ممن عَقَّ أباه: السَّرَنْدَىٰ بن حنظلة بن عوادة الرُّبيعي، ترك أباه في الصحراء وفارقه، فقال أبوه في ذلك:

ما للسَّرَنْدىٰ أطال الله أَيْمَتَهُ ... ألقى أباه بِغُبْرِ البِيْدِ وادَّلجا[3]
مِجْعٌ سَبَاتٌ يعافُ الكلبُ طِعْمَته ... إذا رأى غفلةً من جاره وَلَجا[4]

(١) المصدر السابق ص ١٥٩.
(٢) المصدر السابق ص ١٥٩.
(٣) المصدر السابق ص ١٦٤.
(٤) الأيمة: إذا مكث زماناً لا يتزوج.
(٥) المجع: الجاهل. السَّبَات: الأحمق. الطِّعمة: كيفية الأكل.

رَبَّيْتُه وهو مثلُ الفرخ أعظمه ... والكلبُ يلحسَ من تحت أسنة الرَّدَجا[1]

● وممن عقَّ أباه: لَبَطة بن الفرزدق[2]. وكان يطيع امرأته، وكانت تحرّشه على أبيه، فقال الفرزدق:

أإن أُرْعِشَتْ كفَّا أبيك وأصبحتْ ... يداك يَدَيْ ليثٍ فإنك حارِبُهْ
إذا غلبَ ابنٌ بالشباب أباً له ... كبيراً فإنَّ الله لا بُدَّ غالِبُهْ
رأيتُ تباشير العقوق هي التي ... من ابن امرىء ألا يزال يُغالِبُهْ
ولما رآني قد كبرتُ وأنه ... أخو الحيِّ واستغنى عن المسح شارِبُهْ
أصاخ لعُرْيانِ النَّجيِّ وإنه ... لأَزْوَرَ عن بعضِ المقالةِ جانِبُهْ[3]

● وممن عق أمَّه: ابن أم ثوابِ الهِزَّانية. وكانت امرأته تغريه بها في السر، وتُسْمِعُها في العلانية: مهلاً عن أمنا فإن لنا فيها حاجة! فقالت الأم:

ربَّيْتُه مثلَ فرخِ السَّوْء أعظمه ... أمُّ الطعام ترى في جلده زَغَبا
حتى إذا عادَ كالفُحَّال شَذَّبه ... أبَّارُه ونفي عن متنه الشَّذَبا[4]
أمسى يمزِّق أثوابي ويضربني ... أبعد شيبيَ عندي تبتغي الأدباء؟
إني لأُبْصِر في ترجيل لِمَّتِهِ ... وخطِّ لحيته في خَدِّه عجبا!

---

(١) الرَّدج: أول ما يخرج من بطن الصبي.
عن كتاب: العققة والبررة/ لأبي عبيدة معمر بن المثنى؛ رواية أبي غسان رُفيع بن سلمة بن مسلم العبدي؛ تحقيق عبد السلام هارون ـ ط ٢ ـ القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، ١٣٩٣ هـ ـ (نوادر المخطوطات؛ ٥) ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٢) سمى الفرزدق بنية على السخرية: لبطة، وسبطة، وحبطة، وكلطة، وجلطة، وركضة، وزمعة! أفاده المحقق، نقلاً عن الشعر والشعراء (ص ٤٤٥) وما في حواشيه من المراجع.

(٣) فلان عريان النجي: إذا كان يناجي امرأته ويشاورها ويصدر عن رأيها. وأصل معنى النجي من: تناجيه وتسارّه، يقول: استمع إلى امرأته وأهانني.
المصدر السابق ص ٣٥٦.

(٤) الفحال: فحل النخل. الأبّار: الملقِّح للنخل. والفحّال لا يُؤَبّر، وإنما تؤبر الأنثى... والشَّذَب: ما يلقى من النخلة من الكرانيف وغير ذلك.

قالت له عِرْسُه يوماً لتُسمعني: مهلاً فإن لنا في أمِّنا أَرَبا[1]
ولو رأتني في نارٍ مُسَعَّرةٍ ثم استطاعت لزادت فوقه حَطَبا[2]

● ومن البررة: بنو الضِّباب بن سدوس الطُّهَوي، بَرُّوه - وكان قد أسنَّ، فقال في ذلك:

لعمري لقد بَرَّ الضِّبابَ بنوه وبعضُ البنين حُمَّةٌ وسُعالُ[3]

* * *

مقتطفات مما وافقت اللهجة المصرية اللغة العربية الفصحى، لكاتب من القرن الحادي عشر الهجري:

بأبأ: يقولون في اللغة العربية: بأبأ الرجل، إذا أسرع. فيمكن أن يكون البابا منه، لأنه يسرع لقضاء الحاجة.

- لِبْلِب: يقولون: فلان لِبْلِب، معناه في اللغة كثير الكلام.

- تُتُّ: ويقولون للأولاد في صغرهم «تُتُّ». ومعناه في اللغة: اقعد، وهو صحيح، ورد في بعض كتب اللغة.

- ستي: ويقولون للمرأة العظيمة «سِتِّي». قال في القاموس: ستِّي للمرأة: أي يا سِتَّ جهاتِي.

- فلتة: ويقولون: وقعت منه فلتة. وهي الهفوة، ومعناها صحيح، وفلتات المجلس: أي هفواته.

- فَرْشَح: ويقولون: فرشح. قال في القاموس: فرشح! إذا فتح ما بين رجليه.

- زِنِخْ: ويقولون «زِنِخ» أي الشيء المتغير، ومعناه صحيح، وزَنِخَ الدهن إذا تغيَّر.

---

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) المصدر السابق ص ٣٦٩.

ـ عُرُنْد: ويقولون: عُرُنْد. قال بعض أهل اللغة: معناه إذا كان شديداً قوياً.

ـ بِهْوار: ويقولون: فلان بِهوار. قال في الزاهر: البهوار: هو الذي يقول ما لا يفعل.

ـ هبرة: يقولون: حصلت لفلان «هَبْرة» لحم. وهو صحيح، ورد في مختصر الصحاح أن الهبرة بضعة لحم لا عظم لها، أو قطعة مجتمعة منه. ومنه: هبَّره: قطَّعه قطعاً كباراً.

ـ هزار: ويقولون: فلان في «هزار». أي في صياح وكثرة كلام، كحالة طائر الهزار في صياحه وعدم سكوته إلا القليل.

ـ دِخِس: ويقولون: فلان دِخِس. قال المجدي: الدخس هو الذي يخفي الأشياء مكراً، وقال في القاموس: الدَّخْس: اندساس شيء في التراب.

ـ هُسْ: ويقولون: هس، أي اسكت. وله أصل في كتب اللغة. قال في المجرد: هس: اسكت، وهُسْ: زجر الغنم، والهسيس: الكلام الخفي..

ـ خربشني: ويقولون: فلان خربشني بأظفاره، أي آذاني بها، وهو صحيح. قال في مختار الصحاح: الخربشة والخرفشة والخرمشة كلها بمعنى واحد.

ـ درويش: ويقولون: فلان درويش. قال في المعرب: أصله فارسي، لأن «در» عندهم اسم للباب، و «ويش» اسم للرُّبط [جمع للرباط الذي يبنى للفقراء]، فهو ملازم لباب الله تعالى.

ـ خَبَطه: يقولون: خَبَطه بالعصا. قال في الزاهر: خبطه إذا ضربه بالعصا ضرباً شديداً، وفلان يخبط خبط عشواء...

ـ فطفاطي: ويقولون: فلان فطفاطي. قال بعض أئمة اللغة: هو الأهوج القليل الثبات، أو الذي يتكلم بكلام لا يفهم.

ـ وَرْطَة: ويقولون: ورطة. قال في الزاهر: يقال: فلان وقع في ورطة أي في هلكة، وكل أمر تَعْسُر النجاة منه...

ـ تُحْفة. قال في القاموس: التُّحفة: البِرُّ واللطف والطرفة، وقد أتحفته تحفة: أوصلتها إليه.

ـ خَرْفان: قال في القاموس: خرف: فسد عقله.

ـ بقبق. ويقولون: فلان بقبق، وهو صحيح. يقال: فلان بقباق: مكثار في الكلام. والبقبقة: حكاية صوت الماء في الكوز. والبقباق: الفم. وبقَّت المرأة: كثر ولدها.

ـ عفلق: ويقولون: فلان عفلق. قال في مختصر الصحاح: العفلق: الرجل الطويل المسترخي. والعفلق: الرجل الأحمق. والعفلق: المرأة الخرقاء السيئة العمل والمنطق.

ـ لَبك. قال في المجرد: معنى لبك: اختلط.

ـ بهلول: ويقولون: فلان بُهلول. قال في الزاهر: البهلول: الناقص العقل. وقال في القاموس: البهلول: الضحَّاك، والسيد الجامع لكل خير!

ـ الخُزَعبلات: ويقولون: إيش هذه الخزعبلات. قال في مختصر الصحاح: هي الأمور التي لا أصل لها.

وقال في القاموس: هي الأحاديث المستظرفة. والخزعبلة: التعجب والأضحوكة.

ـ صامول: يقولون: خبز صامول. قال في لسان العرب: الصامول من الخبز: ما نضج واشتد. وصَمَل الرجل: تَجلَّد.

ـ بعُّو: يقولون عند تخويف الصبيان: «بعُّو». قال في لسان

العرب: البَعَوُّ: الشكل المفزع، أو الرجل المشوّه الخلقة[1]..

* * *

● الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي ولي القضاء بقرطبة أيام عبد الرحمن الداخل. وكان مهيباً طيباً صارماً، ولم يحفظ عليه - مدة ولايته - قضية ظلم. وكان غزير العلم، كثير الأدب، متكلماً بالحق، قائلاً بالصدق.

وقحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله، فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء. فتأهب لذلك، وصام بين يديه ثلاثة أيام تنفلاً وإنابة واستجداء ورهبة. وسأل بعض خواص الخليفة عما يصنعه الخليفة الآن، فقال له: ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا، إنه لمنتبذ حائر، منفرد بنفسه، لابس أخشن الثياب، مفترش التراب، وقد رمى به على رأسه وعلى لحيته، وبكى، واعترف بذنوبه وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أتُراك تعذِّب الرعيَّة وأنت أحكم الحاكمين؟ إنه لن يفوتك شيء مني.

قال: فتهلَّل وجه القاضي منذر بن سعيد عندما سمع قوله وقال لغلامه: يا غلام احمل الممطر (المظلة) معك، فقد أذن الله بالسقيا، إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء!

وكان كما قال، فلم ينصرف الناس إلا عن السقيا[2]!

---

(١) انظر ما سبق في كتاب «القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب» تأليف محمد بن أبي السرور الصديق (ت ١٠٨٧ هـ)؛ تحقيق السيد إبراهيم سالم؛ راجعه إبراهيم الأبياري، - القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة: دار الفكر العربي، ١٣٨٢ هـ، ١٦٨ ص.

(٢) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس/ لأبي نصر الفتح بن خاقان القيسي، وهو مما لم يذكره في - قلائد العقيان - القسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢ هـ، ص ٤٢.

● ومن أخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن، في إنكاره عليه الإسراف في البناء، في قصر الزهراء المشهور، فقد كانت له قرامد ذهب وفضة، وصروح ممرَّدة، وأنفق عليه مالاً جسيماً، وجعل سقفه أصفر فاقعاً، إلى أبيض ناصع. يسلب الأبصار بمطارح أنواره المشعشعة. وجعل لأهل مملكته مشهداً إليه بعد إتمامه، وقال لمن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخراً بما صنعه: هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا وقدر عليه؟

فقالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، إنه لم يسبقك ملك رأيناه، ولا انتهى إلينا خبره. فأبهجه قولهم.

وبينما هو كذلك مسرور ضاحك، إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجماً، ناكساً ذقنه.

فلما أخذ مجلسه، قال له الخليفة كالذي قال لوزرائه، من ذكر السقف واقتداره على إبداعه؟

فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان ـ أخزاه الله ـ يبلغ بك هذا المبلغ، ولا أن تمكِّنه من قيادك هذا التمكين! مع ما آتاك الله وفضَّلك.. حتى أنزلك منازل الكافرين!

فاقشعرَّ عبد الرحمن من قوله وقال: انظر ما تقول! كيف أنزلني منازلهم؟!

قال: نعم، أليس الله تبارك وتعالى يقول: **﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون﴾**[1]؟

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٣.

قال: فوجم الخليفة ونكس رأسه ملياً ودموعه تجري خشوعاً لله تبارك وتعالى.. ثم أقبل على منذر وقال له: جزاك الله تعالى يا قاضي خيراً عنا وعن المسلمين والدين، وكثَّر في الناس أمثالك، فالذي قلت هو الحق.

وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى، وأمر بنقض سقف القبة، وأعاد قرامدها تراباً[1]!

● والفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى الليثي كان عَلَم الأندلس، وقد ولي القضاء بعد رحلة رحلها إلى المشرق.. وكان له نصيب وافر من الأدب، وحظٌّ من البلاغة إذا نظم وإذا كتب..

جاءه في بعض الأيام من باديته حِمْلُ دقيق عليه قفص دجاج. وكان له بوَّاب معتوه يُعرف بابن شمس الضحى. وكان عنده منذ صغره إلى أن شاخ. وكان من شأنه التردد على دار القضاة، شاكياً آلامه، ذاكراً همومه! فلما رأى الدجاج قال للقاضي الليثي: اعطني دجاجة منهن، لا بد والله أن تعطيني.

وكان القاضي لا يقدر على ردِّه، إذا أصرَّ على شيء، وإلا جاء من حمقه العجب العجاب!

فأمر القاضي، فأُعطي دجاجة.

فأخذها، ومضى مفتخراً بهدية القاضي، مارّاً بدرب بني أبي زيد شرقي المسجد الجامع. فإذا برجل يلقب بـ «ديك البادية» جالس على باب داره يطلب فكاهة! فقال للمعتوه: من أين لك هذه الدجاجة؟

فقال: أعطانيها القاضي والله الساعة.

فأخذها من يده، وجعل يجسّها، فقال: خذها، لقد أعطاك

(١) المصدر السابق ص ٤٥ ـ ٤٦.

القاضي دجاجة ضعيفة هزيلة، ولا خير لك فيها!

فانصرف المعتوه إلى القاضي عاجلاً وقال له: إنها هزيلة، ولا بد أن تبدلها بسمينة.

فعرف القاضي أن هذه الداخلة ليست من عنده، وقال له: هاتها حتى أراها.

فأخذها، وجسَّها، وقال له: صدقت، فمن أين عرفت أنها ضعيفة بعدما مضيتَ بها؟

قال: قالها لي ذلك الرجل الذي في درب بني أبي زيد. قال: وما صفته؟

فوصف له صفته، فاستدلَّ بها على أنه الملقب بـ «ديك البادية».

فأمر، فأبدلت له بأخرى، وقال له: ارجع إلى ذلك الرجل، فاعرضها عليه، وقل له: قد أبدلها القاضي. وسله أن يعطيك الديك الذي أهدي له من البادية أمس ليكون مع دجاجتك هذه، فإنه لا يصلح لدجاجة من البادية إلا ديك من البادية! وسوف يأتيك منه نسل حسن!

فرجع المعتوه لذلك الرجل وهو في جماعة، والدجاجة معه، وقال له: قد أبدل القاضي الدجاجة كما أشرت، ولكن أنت أيضاً أعطني ديك البادية الذي أهدي إليك أمس، ليكون زوجاً لهذه الدجاجة!

فانتهره الرجل، وصاح به، إلا أن المعتوه تغير لونه، واغتاظ، وجعل يبكي ويلطم وجهه، ويحلف أن لا يزول إلا بالديك!

وكان إذا مُنع المعتوه شيئاً أتى بالعجائب.

فاضطر ذلك الرجل إلى أن دخل، فأخرج له ديكاً من داره افتداءً منه.

فأخذه المعتوه، وانطلق عنه[1].

* * *

● قال أبو حبيب المقري: ضاقت أحوالي فلم تُبْقِ لي إلا جاريةً أحبُّها، ومنزلاً أسكنه. فبعتُ المنزل بألف دينار، وخرجت إلى مكة بالجارية، فقلت لها: يكون هذا المال في وسطك.

فكانت إذا نزلت في منزل حفرت في خيمتها حفيرة، وأودعت المال فيها ودفنتها، فإذا نودي بالرحيل، أخرجته وشدَّته في وسطها.

قال: فاتفق أن رحلنا عن منهل، ونسيت الجارية المال في الحفرة، وأخبرتني بذلك!

قال: فحار فكري، وطاش روحي، ولم أدرِ ما أعمل! ودخلنا مكة، فحدثتني نفسي ببيعها، فلم يطعني قلبي.

فلما رجعنا، ونزلنا المنهل الذي خلَّفتُ فيه الكيس، رأيت صحراء وغلاماً على رابية يرعى غُنيمات له. وأقبلتُ أدُور وأنظر إلى الأرض.

فقال لي الغلام: ويحك ما تطلب؟!

قلتُ: شيئاً أودعتُ أرضَ هذا المنهل.

فقال لي: صفه لي.

قلت: كيسٌ أحمر فيه مال.

فقال: وما لي فيه إن دللتك عليه؟

قلت: نصفُه.

قال: ها هو ذاك في الرابية.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨ ـ ٤٩.

فلما رأى دهشتي منه، قام حتى أخرجه، ووضعه بين يدي!

فحمدتُ الله، وقسمتُ الكيسَ قسمين، وخيَّرته في أن يختار أحدهما.

فقال لي: إني أرى نصيبي منه كثيراً، وأنا أكتفي بنصف أحد القسمين.

فقسمته قسمين!

فقال: تقسمه أيضاً قسمين!

ففعلت!

فقال: ما أعجب أمرك! لا آخذ منه شيئاً.. قد تركتُه أولاً ولم آخذ منه شيئاً لحرمته، ثم تركتُ نصفه الذي قسمته لي وهو حلال، أفآخذ القليل منه؟! انصرف بمالك!

فقلت له: يا غلام، أنت حرٌّ أو مملوك؟

فقال: مملوك.

فقلت: لمن؟

فقال: لشيخ هذا الحي.

فدخلتُ الحي، فألفيتُ الشيخَ والناسُ عنده، فقلت له: رأيت غلاماً في المنهل يرعى غُنيمات، وأسألك أن تبيعنيه.

فقال: اشتريتُه بعشرة دنانير.

فقلت: أنا آخذه بعشرين.

فقال: إن لم أبعه؟

قلت: أعطيك به ثلاثين ديناراً!

فقال لمن حوله: أما تسمعون ما يقول؟ وما يحملك على أن تبذل به هذا الثمن؟

فقلت: جَمَع عليَّ ضالَّة، فأحببتُ أن أكافئه فأعتقه واشتري الغنم التي يرعاها له وأملِّكه إياها.

فقال: أردتَ أن تفعل له هذا لأنه عمل لك معروفاً لمرة واحدة، ولنا في كل يوم منذ مَلَكْناه حسنة تقتضي أكثر مما تقدمه له؟! إنني أشهد الجماعة أنه حرٌّ لوجه الله، وأن ما يرعاه له!

فانصرفتُ عن الشيخ، وقد بلغ لي ما أمَّلتُه له[١].

● وُجد في أخبار مصر المُسْنَدة أن عمرو بن العاس ـ رضي الله عنه ـ عند تغلُّبه على مصر، كان يتنكَّر ويخرج وحده، متشبهاً بالرجل من عامته، ليرى ما عليه القبط من النية للمسلمين.

فتمادى به السير راجلاً حتى لحق بطرفٍ من الفُسطاط.. فرأى جماعة التفَّت حوله لإيقاع الشرِّ به، فقال لها: اعملوا بي كلَّ ما تؤثرون من السوء ولا تردُّوني إلى يد الأمير! فإني هربتُ منه!

فقال بعضهم: ردُّوه إلى يد الأمير، فإنه يقتله، ويكون لكم بذلك عارفةٌ عند الأمير.

فساقوه إلى دار الإمارة، فأخذ يتلوى ويضطرب، ويتأبَّى في سياقته، حتى قرب من الدار. فقام إليه الشُّرَط، فقال: لا يفوتنكم منهم أحد!

فجُمعوا له، فأتى على آخرهم، ولم يعاود التنكُّر[٢].

● قال المؤلف: كنت أعرف شيخاً في أيام القائد خُمارويه، حلو النادرة، مليح الألفاظ، يعرف بالدفاني. وكان مراسلاً، يوصل

(١) المكافأة، لأبي جعفر أحمد بن يوسف الكاتب؛ صححه وضبطه وشرحه أحمد أمين، علي الجارم ـ القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٦٠ هـ، ص ٦٤ ـ ٦٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

رسائل الولاة إلى من تحت إمرتهم. فحدَّثني أنه خرج برسائل للوالي إلى الشرقية - بمصر - فالتقى مع رجل في زِيٍّ بعض المانوية (أتباع ماني بن فاتك) من الأطباء، وهو على حمار بخُرْجَيْن. وكنتُ على حمار.

فسألني عن صناعتي، فتحسَّنتُ عنده بأن قلتُ: أنا تاجر في الغلاَّت. فطمع فيَّ، وكان مبنِّجاً.

فقال لي: هذا موضع طيب، فلو أكلنا فيه!

فقلت: ذاك إليك.

فأخرج من أحد خُرْجيه رغيفين مشطورين، فوضع أحدَهما بين يديَّ، والآخر بين يديه.

ثم أخذ كوزاً معه ومضى يسعى به. فشَرِهتْ نفسي إلى الرغيف الذي كان بين يديه، فأبدلتُه، حتى صار بين يديَّ، وصار رغيفي بين يديه. وجاء بالماء، وابتدأنا بالأكل. فما ابتلع لقمةً حتى شخص بصره وتمدَّد!!

واجتاز بنا جماعة فقالوا: ما لصاحبك؟

قلت: لا أدري والله!

فقالوا لي: أنت مبنِّجٌ بنَّجت هذا المسكين؟

فساقوني إلى عامل البلد، والرجل محمول معنا، وهم يقودون الحمارَيْن. فلما رآني العامل عرفني، فضحك إلي وقال: متى تعلمت التبنيج؟

قلت: اليوم!

وقصصتُ عليه خبري، ففتَّش خُرْج ذلك الرجل، فوجد فيه شطائر تبنّج وشطائر خالية، ووجد معها أوتاراً للخنق، وأحجاراً

للشدخ، فشدخ رأسه بها، وخنقه بتلك الأوتار، حتى مات[1]!!

* * *

● اختلاف الحيوانات بحسب العين:

- الإسفنج وكثير من الأصداف والحلازين لا أعين لها.

- السمكة المعروفة في المغرب بـ «حوت موسى» ذات عين واحدة، ولا كذلك غيرُها. وليس لحيوان أزيدَ من عينين، وإن كان لبعض السمك ثماني آذان ولبعض عشرة، وذلك لشدة عُسْرِ السمع في الماء دون الإبصار.

- الخُلْد له عينان مغطاتين بجلد متخلخل، فهو يرى الأظلال دون الأشكال، واختُصَّ بذلك لأن حركته وارتزاقه في جسم غير شفاف، وهو باطن الأرض.

- بياض عين الإنسان أكثر من سوادها، ولا كذلك غيرُه.

- بصر الخفَّاش والبومة أكثر في الليل، والهرة ترى ليلاً ونهاراً، بخلاف أكثر الحيوان.

- السمك يرى في الماء أكثر من غيره، والتمساح يضعف بصرُه في الماء ويجيد في البر[2].

● الحَوَل هو ميل سواد العين عن الموضع الطبيعي إلى جانب فوق أو أسفل، أو إلى جهة الموق الأكبر أو الأصغر، أو إلى جهة بين جهتين من هذه...

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٨ ـ ١٦٠.

(٢) المهذب في الكحل المجرب/ لابن النفيس علي بن أبي الحزم (ت ٦٨٧ هـ)؛ تحقيق محمد ظافر الوفائي، محمد رواس قلعجي ـ الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤٠٨ هـ، ص ٤٢.

وإذا كان الحَوَل في العينين فقد يكون الميلان في العينين سواء، وقد يكون في اليمنى أكثر، وقد يكون في اليسرى أكثر، فلذلك يكون أقسام الحَوَل الكائن في العينين معاً مائة واثنين وسبعين قسماً! وقد يكون الحَوَل خَلْقياً، وقد يكون عارضاً عن تشنُّج أو عن استرخاء...[1]

● الجحوظ هو أن تكون العين بارزة بأكثر من الأمر الطبيعي المعتاد. ومنه خَلْقي ومنه عارض.

إما عن سبب بادٍ، كما عند الغضب والصياح الشديد والقيء وأكل الفطر ونحو ذلك؛ وإما عن سبب بدني خاص بالعين ومشاركة غيرها[2].

● غور العين وصغرها منه ما هو خَلْقي ومنه ما هو حادث.

ولما كانت كثرة رطوبات العين مُجْحِظة مُعْظِمة لها، فنقصان رطوبتها عن الاعتدال مغوِّر لها مصغِّر. وهذا النقصان قد يكون لاستفراغٍ محسوس كما يكون عند الإسهال والجماع والعَرَق، أو غير محسوسٍ كما يكون عند التعب والسهر والغم وإطالة المقام في الحمَّام والحُمِّيات الحادة، خاصة السهرية منها...[3].

* * *

● نام أعرابي عن جَمَله ففقده، فلما طلع القمر وجده، فرفع رأسه إلى السماء وقال: أشهد أنك أعليته، وجعلتَ السماء بيته.

ثم نظر إلى القمر وقال: إن الله صوَّركَ ونوَّرك، وعلى البروج دوَّرك، وإذا أراد كوَّرك، وإن أَهديتَ إلى قلبي سروراً لقد أهدى الله إليك نوراً.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠.
(٢) المصدر السابق ص ٤٤٤.
(٣) المصدر السابق ص ٤٤٧.

ـ وأضلَّ أعرابي ناقته فطلبها أول الليل فلم يجدها، فلما طلع القمر رآها إلى جنب ربوة، فرفع رأسه إلى القمر وأنشد:

ماذا أقول وقولي فيك ذا حَصَرٍ وقد كفيتني التفصيلَ والجُمَلا
إن قلتُ لا زلتَ مرفوعاً فأنت كذا أو قلتُ زانك ربي فهو قد فعلا[١]

● قال الأصمعي: نزلتُ بقوم قد جاوروا قبائل العرب من بني صعصعة. فحضرتُ ناديهم، وشيخ طويل الصمت، عالم بالشعر، يأتونه الناس من كل ناحية ينشدونه أشعارهم؛ فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض بلحجته، فينفذ حكمه على من حضر منهم بشاة إن كان ذا غنم، أو ابن مخاض إن كان ذا إبل، فتذبح أو تنحر لأهل النادي.

قال: فحضرته يوماً، وأنشده بعضهم يصف ليلاً:

كأن سميطَ الصبحِ في أُخرياته مَلاءَةٌ ينقَّى من طِيالسةٍ خُضْرِ
تخالُ بقاياه التي أسأر الدجى تمدُّ وشيعاً فوق أردية الفجرِ

فقام الشيخ كالمجنون مصلتاً سيفه حتى خالط البرك، فجعل يضرب يميناً وشمالاً ويقول:

لا تفرغن في أذني بعدها ما يستفزُّ فأريك فقدها
إني إذا السيف تولّى مدَّها لا أستطيع بعد ذاك ردَّها

قال العسكري: وهذا دليل على أن علم الشعر وتمييز جيده من رديئه عزيز عن أهل البوادي، وهم أصوله ومعدنه. واستفزاز هذا الشعر لهذا الشيخ قريب مما رُوي عن الأمير: إني لأطرب على جيد الشعر كما أطرب على حسن الغناء[٢].

---

(١) نثار الأزهار في الليل والنهار/تأليف ابن منظور ـ بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤٠٣ هـ، ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق ص ٧٠.

● أربعةٌ، وهي ثلثُ واحدةٍ كثرةُ العدِّ، وهي ثنتان
دائمة السير، لا يدانِ لها تقطعُ أرضاً، ولا جناحان

أراد بالأربعة: الفصول. وهي ثلث واحدة: أراد أن الأربعة ثلث السنة. وكثيرة العد: أراد الأيام. وهي ثنتان: أي أنها الغالب: شتاء وصيف، كما قال عز وجل: ﴿**رحلة الشتاء والصيف**﴾.

والبيت الثاني ظاهر، لأنها تسير وتتصرَّم وليس لها عضو تتحرك به[1]!

● قال أمير من أمراء إفريقية يوماً لشاعر ظريف من شعراء مجلسه: أي برج لك في السماء؟ فقال: واعجباً منك! أنا ما لي بيت في الأرض أيكون لي برج في السماء؟ فضحك، وأمر له بدار يسكنها[2]!

● اشتقاق أسماء الكواكب والنجوم:

النجم: اشتقاقه من النجوم، وهو الظهور. ومنه: نجم النبتُ إذا ظهر وعلا على الأرض.

زحل: من التزحُّل، وهو بطء الحركة، لأنه أبطأ الدراري سيراً في قطع الفلك.

المشتري: من الشراء، وهو الوضوح والظهور، لضياء لونه وصفائه. ومنه الشراء في الحدقة، وهو تقلُّص الجفن الأعلى على الأسفل وانفتاح الحدقة.

المريخ: من المرخ، وهو اللين والاسترخاء، ومنه تمريخ الجسد، أي تليينه بالدهن، ولأن لونه فيه اضطراب ولين في رأي العين.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٨.

الشمس: من الشماس، وهو الامتناع، ومنه شماس الدابة (الشموس)، وهو امتناعها عن القيادة لرائضها، وذلك لقوة شعاع الشمس، حتى تمتنع الأبصار عن تمكن النظر إليه.

الزهرة: من الإزهار، وهو الإشراق والإنارة. ومنه: أزهر الصبح: أنار وأشرق، وذلك لضيائها وإشراق نورها.

عطارد: من العطرة، وهي الشرعة والخفة، وذلك لسرعة حركته وامتزاجه بكل ما يجاوره وسرعة استمالته إليه.

القمر: من القمرة، وهي شدة البياض.

ـ وسمي الشهر بذلك لشهرته وبيانه، لأن الناس يشهرون دخوله وخروجه...[1]

* * *

(١) المصدر السابق ص١٧٧ ـ ١٧٩.

فهرس

الموضوع	الصفحة

الباب الأول

الباب الثاني